

الإسلام وحقوق الإنسان

البحر شاد

للدكتور

القطب محمد القطب طلبة

أستاذ ورئيس

قسم القانون العام والسياسة الشرعية

بجامعة أم درمان الإسلامية

(سابقاً)

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور
القبط محمد القبط طلبة
أستاذ ورئيس
قسم القانون العام والسياسة الشرعية
بجامعة أم درمان الإسلامية
(سابقاً)
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإسلام وحقوق الإنسان البحر شاد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى »

(٥٩ — النمل)

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

(١٢٨ — النحل)

« ... وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما . » .

(٩٥ — النساء)

ومن الحديث : عن أبي عبيس عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال :
« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله ... ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه ، فإنه نعمة تركها ، أو قتال كفرها (رواه أبو داود) . »

وأقول : من أجل الإنسان ، وحقوق الإنسان ، كان الجهاد ، الذي لولاه ،
« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (انظر الآيتين ٢٥١ ،
البقرة و ٤٠ الحج) .

الاهداء

الى ابطال الانتفاضة الفلسطينية ، الى رماة الحجارة لاسترداد القدس
والاراضى المغتصبة من العدو الصهيونى .

والى المرابطين فى خط دفاعنا الاول لصد العدوان الشيوعى ، ودحر
الاحاد والاستبداد ، وتطهير الارض الطيبة من كل دنس ، الى المجاهدين
الافغان البواسل .

والى « الذين آووا ونصروا » ، الى الشعب الباكستانى العظيم ،
وقياداته ، الى هؤلاء جميعا ، الى المجاهدين فى كل زمان ومكان .

أهدى هذا الكتاب ..

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ابداً هذا التقديم ، بنسب العبارة التي بدأت - وايداً - بها كتيبى فى « النظم الاسلامية » وهى : - يرجو مؤلف هذا الكتاب أن يهيب الله له الاسباب فيخرج « وسيطنا فى النظم الاسلامية » « مع المقارنة بالنظم المعاصرة » .

وبفضل من الله وعون ، ظهر حتى الآن من هذا الوسيط خمسة كتب : هى « الاسلام وحقوق الانسان مدخل للدراسة ومبادئ علمية » و « نظام الادارة فى الاسلام » و « الاسلام والدولة » و « غير المسلمين فى الدولة الاسلامية » و « غزوات الرسول وسراياه - جزوين مستفادة » . وسادسها هو هذا الكتاب المتقدم للطبع - وهو عن « الجهاد » .

واذا كان عنوان « النظم الاسلامية » يفتطم هذه الكتب الستة ، فان أربعة منها يتنظمها - فى نفس الوقت - عنوان « الاسلام وحقوق الانسان » . وهذه الأربعة هى الأول والرابع والخامس والسادس . ثم ان هذه الثلاثة الأخيرة يرتبط بعضها ببعض برباط وثيق : فالخامس منها (وهو عن الغزوات والسرايا) مدخلى ضرورى للسادس (وهو عن الجهاد والمهادنة والأمان) - ثم يأتى الرابع (١) (وهو عن أوضاع الأقليات غير الاسلامية فى الدولة الاسلامية - كمرحلة تالية لموضوع « الجهاد » و « المهادنة » و « الأمان » . هذا ، وما زالت أبواب « النظم الاسلامية » ومجالاتها - علمية ، و « الاسلام وحقوق الانسان » - خاصة - واسعة وممتدة . وفى النية أن أمضى فيها بدائنه . والله المستعان .

وبعد : فان هذا الكتاب يتكون من فصلين ، وخمسة ملاحق ، وكلها مبيتة بالفهرس .

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » (٨٨ - هود) .

المعادى - ٢٩ من المحرم ١٤٠٩ هـ (١٠/٩/١٩٨٨ م) المؤلف

(١) جاء هذا الترتيب (الرابع) لأنه كان أسبق فى الطبع والنشر من الخامس والسادس .

الفصل الأول

الجهاد

المبحث الأول

التعريف

١ - الجهاد (بكسر الجيم) أصله - لغة - المشقة . يقال : يجاهدت . جهادا أى بلغت المشقة . وثبرعا بذل الجهد فى قتال الكفار . ويطلق - أيضا - على مجاهدة النفس والشيطان والفساق (نيل الأوطار للشوكاني - ج ٧ ص ٢٢٠) . وقد جاء فى تفسير المنار (ج ١٠ ص ٢٦٩) والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس . وتدخل ثلاثتها فى قوله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده » (٢٢ : ٧٨) وقال (ص) : « جاهدوا انكفارا بإيديكم والسنةكم » والجهاد بالالسنة إقامة البرهان والحجة . ومن الأحاديث أيضا حديث جابر عند الخطيب « قدمتم من خير مقدم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر : مجاهدة العبد هواه » وحديث على عتد أبى نعيم فى الحلية « الجهاد أربع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصدق فى موطن الصبر وشنآن الفاسق » . هذا عن الجهاد ، أما عن السير فهى جمع سيرة وهى الطريقة . وكتب السير . مأخوذة من السيرة ، بمعنى الطريقة . وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك . ويقتل فرأت مسيرة فلان ، أى تاريخ حياته . وأما عن « الغزوات » فهى جمع غزوة وهى المرة من الغزو . وغزا العدو غزوا ونزوانا . سار الى قتالهم فى ديارهم (١) . وفى الموسوعة العربية الميسرة : غزوة أى حملة شهدها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه . وعدتها ٢٧ . قتل فى تسع منها هى : بدر ، أحد ، الخندق ، قريظة المصطلق ، خيبر ، الفتح ، حنين ، الطائف (٢) .

-
- (١) انظر فى كل ما تقدم لسان العرب والمعجم الوسيط .
(٢) انظر التفاصيل فى : السيرة لابن هشلم - تحقيق السستا وآخرين - القسم الثالث - الطبعة الثانية ، ص ٦٠٨ وما بعدها ، وانظر فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم لبنى المصطلق - المرجع السابق ص ٢٨٩ وانظر للمؤلف . كتاب « غزوات الرسول وسراياه - رقم مسلسل ٢٩ » وانظر - أيضا - المرجع السابق - أولا - توضيح - عن الاختلافات حول عدد الغزوات والسرايا وتربيها ، ونواريحها ، وقياداتها ، وتسمياتها . . الى آخره .

وعن أبى موسى قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل بحمية ، ويقاتل رياء . فماذا ذلك في سبيل الله فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (رواه الجماعة) . وعن أبى أمامة قال : (جاء رجل الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له . فأعاده ثلاث مرات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له . ثم قال : ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتنى به وجهه » رواه أحمد والنسائي . والجهاد في الاسلام أنواع ، ولكل نوع أحكام ونتائج . في تفسير قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (١٦١ — السورة) جاء في القرطبي ج ٨ ص ١٥٠ وما بعدها « . . . والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة ، أي انفروا خفت عليكم الحركة أم ثقلت . وبعد أن اشار القرطبي الى قول البعض بنسخها ، قال : والصحيح أنها ليست بمسوخة . . . وقد تكون حالة يجب فيها تغير الكل ، وذلك اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الاقطار ، أو بحلوله بالعقر ، (أي بعقر درانا) ثم قال : وقسم

ثان من واجب الجهاد — فرض — أيضا — على الامام اغزاء طائفة الى العدو كل سنة مرة ، يخرج معهم بنفسه ، أو يخرج من يثق به ليدعوهم الى الاسلام ويرغبهم ، ويكف اذاهم ، ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد . ومن الجهاد — أيضا — ما هو نافله . وهو اخراج الاسلام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات الغرة وعند امكان الفرصة ، والارصاد لهم في موضع الخوف واظهار القوة . . . وسيأتى بعد الكثير من آراء القرطبي وغيره في تفسير الآيات مع مناقشتها والتعقيب عليها . وقد سبق أن ذكرت — نقلا عن المنار — ضرب الجهاد وأضعف أن طلب العلم — لوجه الله — جهاد . وفي الحديث : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » . (انظر : كتاب العلم في رياض الصالحين للنووي . وأقول : ان كل عمل صالح يؤدي بالاعتقان ، وبنية الامثال أنه . جهاد وعبادة . فإذا أضاف العادل الى هذا الاعتقان — المزيد من الانتاج ، والمحافظة على أداة الانتاج ثم التواضع في الاستهلاك فهذا — أيضا — جهاد . انه خير اسهام في تقوية الدولة واعزاز الأمة . ومن يفعل له خير الجزاء في الدنيا والآخرة . وعلى المؤمن العمل — في اصرار ومثابرة — على تقوية نفسه بجسميا ودينيا وعقليا ، وعليه —

ما استطاع — أن يفعل ذلك للمؤمنين جميعا أنه اسهام فى بناء الرجال ، وليس هناك ما هو أفضل وأشق من بناء الرجال (٣) .

الرباط

٢ — فى المعجم الوسيط : رباط ، مرابطة ، ورباطا : لازم الثغر وموضع المخافة . يقال : رباط الجيش . ورباط : واظب على الأمر ولازمة . وفى التنزيل يأياها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا : أى واظبوا على الطاعات . وفى كتب الفقه : معنى الرباط الإقامة بالثغر . والثغر كل مكان يخيف أهله العدو ، ويخيفهم . وأصل الرباط من رباط الخيل وعند الثغور يربط هؤلاء ويرابطون ، ويربط هؤلاء ويرابطون ، ويعد كل منهما لصاحبه . وقد روى فى فضل الرباط أخبار ، منها : ما روى عن فضالة بن عبيد أن رسول الله (ص) قال : « كل ميت يختم على عمله إلا المرباط فى سبيل الله ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان (١) القبر » (رواه أبو داود والترمذى ، وقيل : حديث حسن صحيح . وفى الحرس فى سبيل الله فضل كبير . قال ابن عباس : سمعت رسول الله (ص) يقول : « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله . » (رواه الترمذى) .

البحث الثانى

للجهاد شغلة يجب أن تبقى حية

٣ — مما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى ١ ج ٧ ص ٢١٩ وما بعدها) ، قوله : (ص ٢٢٠) : وأما مجاهدة الكفار فتقع بأيدي المال واللسان والقنب . ثم قال (ص ٢٢١) — والتحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم :

(٣) لست بحاجة الى التنويه ، بأن المقصود الرجال والنساء جميعا ، وفى مختلف الأعمار .

(١) الأمن من الفتان يعنى المنكر والنكير ، فان المهلكة منهما على من لم يظن قلبه بدين محمد (ص) ، ولم ينهض لنصرته . أما المرباط على شرطه (أى فى سبيل الله) فهو جوامع الهمة على تصحيحه ، ناهض التعزيمة على تمثلية ثور الله . (أنظر فى ذلك وفيما جاء بالمتن : حجة الله البالغة للدهلوى تحقيق السيد سابق — دار الكتب الحديثة بالقاهرة ص ٧٨٨ ، طبعة غير مبينة) ، والمفنى لابن قدامة ج ٩ ص ١٨٦ وما بعدها — مطبعة العاصمة .

أما بيده وأما بلسانه وأما بقلبه . وفيها يلي بعض ما جاء في التنزيل الحكيم في فضل الجهاد والحض عليه . يقول تعالى : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . ومالك لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا . (الآيات ٧٤ و ٧٥ — النساء) . ويقول تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين — غير أولى الضرر — والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، ومنسئله المجاهدین على القاعدین أجرا عظيما » (٩٥ من نفس السورة) . ويقول : « ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض ، لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون حير ؟ » (١٠ — الحديد) . وفي رياض الصالحين للنووي (كتاب الجهاد) مختبرات من الحديث الشريف أذكر منها هنا ما يلي : عن أبي عبيس عقبة بن عامر الجهني (رض) نال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المديبة يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي » (رواه مسلم) . (وعنه) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستفتح عليكم أرضون ، ويكتبكم الله ، قاتلا يعجز أحدكم أن يهوا (١) بأسه » (رواه مسلم) ، (وعنه) أنه قال : قال رسول الله (ص) : « من علم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو نقد عصي » (رواه مسلم) ، (وعنه) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ان الله يتخلل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صائغ يحنسب نى صنعته الخير ، وانراى به ، ومنبله ، وارموا واركبوا ، وان تربوا أحب الى من أن تركبوا ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها ، أو نال كفرها » (رواه أبو داود) . وعن سلمة بن الأكوع (رض) ، قال : مر النبي (ص) علي

(١) في هذه الحالة حين تفتح الأرض ، ويكتبكم الله ، فليكن «لهوكم» نهوا مفيدا ، أنه « اللهو بالأسهم » ، أنه التدريب على الرمي ، وممارسته ، الى حد التفوق فيه .

تقر: ينتضلون ، فقال : ارموا بنى اسماعيل ، فان أبلكم كان رامياً » (رواه البخاري) . وعن أبى هريرة (رض) قال : قال رسول الله (ص) : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » (رواه مسلم) . . وعن أبى أمامة — رضى الله عنه — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يعز أو يجهز خازياً ، أو يخلف عازياً فى أهله بخير أصابه الله يقارعة قيل يوم القيامة » (رواه أبو داود بسند صحيح) . وما جاء فى القرطبى فى تفسير الآيات ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ من سورة التوبة : روى أبو داود عن أنس ابن مالك أن رسول الله (ص) قال : « لقد تركتم بالمدينة أقواما . ما سترتم سراً ، ولا أنفقتهم من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه » قالوا : يا رسول الله ، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة » قال « حبسهم العذر » وأعود إلى نيل الأوطار للشوكانى (ص ٢٢٢) ، وأثقل عنه هذا الحديث : عن أبى أيوب قال : « أنها نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما نصر نصر الله بنبيه (ص) ، وأظهر الإسلام ، قلنا : هل نقيم فى أموالنا ونسلحها فأنزل الله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (١٩٥ — البقرة) فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم فى أموالنا ونسلحها ونندع الجهاد (٢) » (رواه أبو داود) ، وعن أبى بكر (رض) أنه قال (وقد خطب الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم) : أيها الناس ، انى سمعت رسول الله (ص) على هذا المنبر وهو يقول : **ما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا نذلهم الله** ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا عهم الله بعتاب » وقال على (ص) : « ما وطئ قومى عقر دارهم إلا نذلوا » (انظر القرطبى ج ٨ ص ٢٩٢ فى تفسير الآية ١٢٠ التوبة) أقول : ان العدو المترص بك ان لم تعاجله عاجلك . وفى تاريخنا القريب استثار حكامنا اسرائيل ، فقاجأنا ، وكانت كارثة ١٩٦٧ التى حلت بنا وفى عام ١٩٧٣ ساجلناهم وكان النصر لنا . وأقول : « السلام » اسم من أسماء الله تعالى ، ونحن المسلمين نكرر كلمة « السلام » فى الصلوات الخمس وغيرها فى اليوم الواحد ، مرات

(٢) وانظر تفسير القرطبى للآية ، وفيه (فضلا عما هو مبين بالمتن) أنه تبلى : ان المراد بالتهلكة الامساك عن الانفاق على الجهاد وتجوؤ ، وقيل المراد بها اليأس من الله . فالتهلكة فى القعود عن الجهاد ، وفى البخل ، وفى اليأس ، والحياة فى الجهاد ، وفى الأمل ، وفى البذل فى سبيل الله .

ومرات . ونحن المسلمين لا نمنى الحرب . قل عليه الصلاة والسلام :
 « ... لا تمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا أقبلتموهم فاصبروا ،
 واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ... » (متفق عليه) ، ولكن : ما حيلة
 المسلمين وطلاب الحق وانجارية ، إذا فرض الطواغيت عليهم الحرب . .
 وأجواب في قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
 صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من
 ينصره إن الله لقوى عزيز » (٤٠ الحج وانظر المؤلف : « الاسلام وحقوق
 الانسان » ط ٢ ص ٢٢) وفي تفسير القرطبي للآية : « لولا الجهاد لذهب
 على الحق في كل أمة » . وأقول مذكرا بقوله تعالى : « سنة الله في الذين
 خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٦٢ — الأحزاب) . وأكرر هنا
 ما أقوله مرارا : أن الامداد للحرب أنهى للحرب . وفي آيتين مذكورتين من سورة
 الأنفال يقول تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
 به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا
 من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون . وان جهنوا للسلم فأنج
 لها وتوكل على الله ، إن الله هو السميع العليم » (٦٠ و ٦١) .

٤ — وفي الرمي ، وفي اعداد الكل عسكريا ، وفي تربية الناشئة منذ
 نسومة الأظفار على حب الوطن ، والامة والملة والتضحية من أجل قضايها
 أسوق هذه الأمثلة : أ — الإهام الشافعي (رض) — فقيه عظيم ، وهو — كفتيه
 عظيم — غنى عن التعريف ، هذا الامام الجليل يروى عنه قوله : مع العلم
 وانفقه ، ليس أحب الي من الرمي . انى اذا رميت عشرة ، أصبت عشرة . الى
 هذا الحد بلغت به البراعة في الرمي ، ولم يقعد به نفرغ للعلم والفقه ، عن
 تعلم الرمي ، وممارسته والمهارة به . أقول : ان هذا واجب ديني ، وطني قومي
 انساني . . وهو فرض عيني . ب — تعددت الحروب بين الجارتين الأوروبيتين
 انكبرتين ألمانيا وفرنسا ، وفي حرب بينهما هي « حرب السبعين (١) » انصرت
 ألمانيا ، واقتطعت من أرض فرنسا اقليم الأناضول واللورين وضمتهما الى
 أرضها . وترك هذا « الاقتطاع » في قلب كل فرنسي جرحا داما . وصار

(١) انظر : الحرب السبعينية (ص ٦٩٩ من الموسوعة العربية الميسرة
 وكذلك : الحرب الفرنسية البروسية (١٩ يوليو ١٨٧٠ — ٢٨ يناير ١٨٧١)
 (نفس المرجع ص ٧٠٢) .

يُلاصِران على استرداد « الأرض » يجرى من الفرنسيين بجزى الدم وأخذوا يكتبين « الألاس والورين » فى كل مكان ، وعلى كل شىء ، حتى الخبز وقطع الحلوى ، وكل ما يحبه الأطفال بلذات .. واستمروا ، حتى استردوها فى اعقاب انتصار الحلفاء على ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ..

ج — أشير هنا ، وبهذه المناسبة ، الى التجنيد الإجبارى ، والى شرف الغنى فى الجيش ، والتدريب بدنيا وعسكريا . والمولى — جل وعز — يقول : « وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل .. » واذا فسر « رباط الخيل » بأنه عده الحرب ، والأسلحة المختلفة والمتطورة ، واذا تذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام : « الخيل معقود فى نواصيها الخير والأجر والمغنم الى يوم القيامة » (وهو حديث متفق عليه) — اذا تذكرنا هذا ووعيدناه ، يجب أن نتذكر — معه — صدر الآية ، أقصد ، قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » والقوة هنا ذات معنى واسع ، انها تعنى كل ما يسند ، اذا ، الحرب ويعززها ، وفى مقدمتها « القوة الاقتصادية » ان هؤلاء الذين يعملون — فى كفاءة وصدق — فى المصانع والمزارع ، وفى كل موقع ، ومنها المعلمين ودور البحث ، وكل الاجهزة المعاونة للجيش ، كل هؤلاء غزاة ، ولهم — فى الدنيا والآخرة — أجر الغزاة ، ماذا الحرب فى سبيل الله وكل ما كان لتحرير الانسان من الجوع والخوف (٢) فهو فى سبيل الله .. ومن أفضل الجهاد كلمة حق عند حاكم جائر (فى معنى حديث شريف) ان الجهاد — بمعناه الواسع — باليد (٢) ، أو بالمال ، أو باللسان . أو بالقلب ، فرض عيني أنه « نور » فى كل قلب ، ويجب أن يبقى مضيئا دائما أبدا ..

(٢) انظر سورة « قريش » . وفى الحديث : « من بلى آمنة فى سرية » معافى فى بدنه ، وعنده قوت يومه ، فقد حيزت له الدنيا » (أو كما قل) . (٣) ان الذين يعملون بأيديهم فى بناء اقتصادنا الزراعى أو الصناعى (بالكفاءة والأمانة) مجاهدون ..

المبحث الثالث

لولا الجهاد لفسدت (١) الأرض

٥ — وجد الصراع بين الخير والشر ، ووجدت الحرب ، منذ وجد الانسان وسيبقى الصراع وستبقى الحرب ، حتى آخر الزمان . هكذا كان الناس ويكونون . سنة الله « ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٤٣ — ماطر) عن أنس (رض) قال : قال رسول الله (ص) : « ثلاث من أصل الايمان : الكف عن قال : لا اله الا الله ، لا تكفره بذنب ، لا نخرجه من الاسلام بعمل . والجهاد ماض منذ معني الله الى أن يتنازل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائز ولا عدل عادل . والايمن بالاقدار » (رواه أبو داود وحكاه أحمد في رواية ابنه عبد الله) . (عن : نيل الاوطار للشوكاني ج٧ ص ٢٢٥) . وأخرج أبو داود من حديث عمران بن حصين قال : قال (ص) : « لا تزال طائفة من أمتي يقتلون على الحق . ظاهرين على من نلواهم حتى يقتل آخرهم المسيح الدجال (٢) » (نفسه ص ٢٢٦) . ليس هنالك خيار ، فاما القوة القادرة على الدفاع ، وحماية الدعوة ، وردع الظلمة واسترداد الأرض والمقدسات ، واما الذل والخزي . ان الاستقصاء يشير الى ان الحرب هي « القاعدة » وأن « السلم » هي الاستثناء (٣) . وان ضعف الضعفاء هو

(١) انظر — على سبيل المثال — الآية ٢٥١ البقرة ، و « أوضح التفاسير » (لابن الخطيب) .

(٢) انظر مادة « المسيح الدجال » ، بالموسوعة العربية الميسرة (ص ١٧٠٣) ، وفيها : أن للفكرة أساسا في اليهودية ، وردتها الفصوص المسيحية (رسالة يوحنا الاولى ٣ : ١٨ و ٤ : ٣ الثانية) وانظر في نفس المرجع مادة « مهدي » (ص ١٧٦٤) ، عقيدة شيعية في أساسها ، تقوم على امام خفي سيظهر ، وسيلا الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا . انكرها الزيدية . وانظر جريدة الاهرام (ص ١٥ عدد ١٩٨٦/٣/٢٨) ، وفيها « والكلام للشيخ محمد الغزالي » أن أحاديث المهدي أجبالا لم يورد لها القرآن الكريم ذكرا ، كما أن صحيح البخاري ومسلم لم يرد بها شيء عن هذا المهدي . ويقول : كلام علمائنا أنه لم يرد في المهدي حديث صريح ، وما ورد صريحا ليس بصحيح . ويضيف أن المجددين للتراث النبوي لن ينقطع لهم مدد الى آخر الدهر ، وهذا بالفقه العميق البصير ، ورئيس الكهنة الدينية .

(٣) في احدي الاحصائيات أنه فيما بين ١٤٣٦ ق.م وسنة ١٩٢٥ — ب.م : أي خلال ثلاثة آلاف عام لم تتجمع البشرية بسلام لأكثر من ٣٠ سنة .

الذى يفرى بهم الأتوياء . وان اللوم ليس على فرعون وحده إنما اللوم — أيضاً — على هؤلاء الذين تركوه « يفرعون » . ان الولي ليس للظالمين وحدهم ، وإنما هو — كذلك — للذين ظلموا أنفسهم ، وإنما هو — وبصفة أخص — نهؤلاء من الولاة والدعاة الذين لم يؤدوا أماناتهم ، وخانوا بل وظلموا شعوبهم . لقد أغرى تفككنا أعدائنا بنا . ان البلاد العربية والإسلامية تمر بفترة من أسوأ الفترات التى مرت بها . ان الله قد وسف المؤمنين بأنهم « أشداء على الكفار » . رحماء بينهم » (٢٩ - الفتح) والعكس هو — اليوم — شأننا . ان الشرق والغرب جميعا ، طامعون فيما : الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل يعربدان فى المنطقة العربية ، والاتحاد السوفيتى يمارس — بطريقته — حرب الإبادة ضد المجاهدين الأفغان البواسل . وحرب التخريب المتبادل بين حكام العراق وإيران دخلت عامها الثامن . والهموم كثيرة ، والذنوب أكثر ، ولا حول ولا قوة الا بالله . . . حتى نبدأ تغيير أنفسنا الى الأحسن ، ان تيارات « الصهيونية » والصليبية ، والعنصرية (٤) ، والأطماع القوسعية والاستنزافية — ضد العرب والمسلمين — مازالت عالية .

==

(ثلاثمائة سنة فقط) ، بينما كان ثانون الحرب هو السائد طوال كل تلك القرون . انظر : « مواطنون لا ذميون » للاستاذ فهمى هويدى — دار الشروق ١٩٨٥ ص ٢٢٠ . أقول : ويلاحظ ان الفترة ما بين ١٤٣٦ ق.م و ١٩٢٥ ب.م هي ٣٦٦١ عاماً وفى تفسير المنار (ج ١ ص ٢٧٢ طبعة ١٩٧٢) « والمعلوم بن تاريخ البشر ان الحرب سنة من سنن الاجتماع البشرى . . . بل هى سنة من سنن بعض الحضرات التى تعيش عيشة التعاون والاجتماع كلنمل . . الى آخره » . (٤) خلال الأيلم الأولى من حرب (١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ — ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م) — نشرت الأهرام فى اعداد قتالية احصائيات عن مواقف بعض شعوب الغرب من هذه الحرب بين العرب وإسرائيل . فكانت القتلىج تشير الى تعاطف هذه الشعوب مع (إسرائيل المعتدية) بنسبة عالية . وأنقل هنا هذا الخبر عن الأهرام (عدد ١٦/١٢/١٩٧٣ ص ٢) — وهو بعنوان : (جماعة أرهابية فرنسية وراء انفجار التنصليية الجزائرية) . ومما جاء فيه : أذاعت جماعة أرهابية تطلقا على نفسها اسم « شارل مارتل » أنها المسئولة عن حادث انفجار القنبلة الذى وقع فى مبنى التنصليية الجزائرية بهرسييليا . فقد أرسلت الجماعة خطابا من محطة سان لازار بباريس تقول فيه : « لقد ألقى بنا العرب خارج بلادهم بالقوة وسوف تلقىهم خارج بلادنا بالقوة » . كما هاجمت الجماعة الحكومة الفرنسية لمواقفها فى مواجهة القيود المفروضة على البيترول العربى . و (شارل مارتل لا

٦ — فلنعد إلى السيرة الشريفة ، سيرة الرسول وصحبه ، ولتكن لنا فيها دروس وأسوة . لقد فرض الآخسون عليهم الحرب ، فرضتها قريش و اليهود ، بل وكل العرب . (كما حدثت في غزوة الخندق) . لقد كان التضاء على الدين الجديد ، واقتلعه من جذوره ، هو غلبة الغايات عند هؤلاء جميعاً ، وحمل الرسول وصحبه السيوف تدفع العدوان ، ولم يغمروها غط حتى كان نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وما أن اختار الرسول (ص) الترفيق الأعلى حتى اهتزت الجزيرة العربية الا قليلا ، بالكفر والردة . وكانت مصالبة أبي بكر والرجال من حوله . وغلبت المئة القليلة المئة الكثيرة باذن الله . في هذه الحروب (حروب الردة) سقطت المئات أو الآلاف من المسلمين ، ومنهم القراء والعلماء الاجلاء . حاربوا ومات من مات منهم في سبيل الله ، فوجههم للام النصر والعز والحياة . ان البلاد العربية والاسلامية غنية ، غنية بتقواها البشرية ، ومواردها الاقتصادية وأمتها آتية من بعض منها ، وبالاخص حكامها . الصراعات والخلافات بينهم ناشئة ، وكذلك الحروب الساخنة والباردة . والشعوب مغلوبية على أمرها ، ومسوقة — في أماكن كثيرة — إلى هلاكها . والشباب هو الامل ، وهو الغد ، لكنه في حاجة إلى من يأخذ بيده .

ويجمع صفوفه حول كلمة الحق ، ، والا فانه مشتت مضلل مضيع وانظر — ص ٧ .

أهرام ١٥ / ١٢ / ٨٧ بعنوان « الداخلية والتاس » الاستاذ فهمي هويدي وفيه أن الشباب المذنبين مطارد ومضطهد . ولقد عد إلى « الجهاد » (بمعنى القتال في سبيل الله) . وينبذ بالاشارة إلى الحديثين الشريفين السابق ذكرهما (بند ١) عن

= اندي تسمى الجماعة باسمه هو أحد المحاولين الفرنسيين الذين حاربوا الاسلام في غرب فرنسا عام ٧٣٢٠ الميلادي (وانظر : شارل مارتل بالموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٦٦) . وفي الانتخابات الأخيرة التي أجريت في فرنسا يوم ١٦ / ٣ / ١٩٨٦ حقق حزب لويان نصرا مدهشا ، إذ أحرز ٣٤ مقعدا بالجمعية الوطنية التي يدخلها لأول مرة . وقد خاض الحملة الانتخابية على أساس طرد المهاجرين الأجانب (الجزء اثنان بالذات) (انظر ص ٤) . أهرام ١٨ / ٣ / ١٩٨٦ ، ١٠ ، وانظر — كذلك — ص ٤ أهرام ١٣ / ٦ / ١٩٨٦ . بعنوان : ثلاث انفجارات بفرنسا دبرتها منظمة معادية للمهاجرين . والخير من باريس . وما جساء فيه أن منظمة « الكوماندوز الفرنسيين » اليمينية المتطرفة أعلنت مسئوليتها عن الانفجارات ، وأنها دبرتها احتجاجا على السماح لويدي حصول المهاجرين على حقوقهم — بتعليم مدمرة غدا بباريس .

والرجل يقتل شجاعة . . أو النماسا للذكر . . أعود اليهما وأقول : فى نبيلة
الاولى أن المحتقين قد ذهبوا الى الله اذا كان البلاغ الاول قصد اعلاء كلمة
الله ، لم يضره ما ينضاف اليه من حب اظهار الشجاعة أو نجو ذلك وأقول : هذا
هو الفضل فى الاسلام ، التضحية بالروح والمال ، وبكل عزيز ونفيس ، لا بقصد
آخر سوى ابتغاء مرضاة الله . وأضيف أن كل قطرة « من دماء الشهداء ، أو
مداد العلماء ، بذلت لتحرير الانسان من الشرك والجوع والخوف — فهى فى
سبيل الله . . لقد حارب الطواغيت — على مدى العصور — من أجل المجد
الشخصى ، ومن أجل التوسع والاستنزاف ، والظهور والاستعلاء ، من أجل
الدنيا ومتاع الدنيا بل لقد حارب بعضهم ، وساق الجيوش لشغلها عنهم . وقتما
جاءت رسالات السماء لمناهضة هؤلاء ، ومن يناقثهم ويركن اليهم . « ولا تركنوا
الى الذين ظللوا فتمسكم النار » (١١٣ — هود) أن رسالة الاسلام هى خاتمة
الرسالات ، وإن نبي الاسلام هو خاتم الأنبياء . والاسلام يقوم على دعامين :
الايان بالله وحده ، والاستقامة ، أى العمل الصالح ، أى الاحسان
والاتقان . والآيات الكريمة فى هذا المعنى لا تحصى عدا منها قوله تعالى :
« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا يخلفوا ولا يحزنوا »
وأشبهوا بالجنة التى كنتم توعدون . . » (٣٠ فصلت) ، « ومن يسلم وجهه
لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى . . » (٢٢ — لقمان) (وانظر
٣١ من نفس السورة و ١١٢ البقرة و ١٢٥ النساء) هذا هو الاسلام ، والله
سبحانه وتعالى — لا يجب أن يعبد معه غيره . والطغيان والعدوان والمنافاة
والرياء اشراك بالله ، او فيها شبهة الاشراك بالله . . وشرط ايمان المؤمن أن
يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، حتى نفسه وأهله . . « قل ان
كلن آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسبها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى
سبيله ، فمريضوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »
(٢٤ التوبة) ، « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى
قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، الا أن حزب الله هم
المفلحون » (٢٢ المجادلة) : هؤلاء الذين قاتلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم
وعشيرتهم ، فى بدر وفى غير بدر . هؤلاء هم الذين قدموا ارواحهم — وعن

قلب خاطر — لا من أجل أنفسهم ، ولا من أجل الدنيا ، وإنما من أجل الآخرة ، ومن أجل الحرية والحياة الكريمة لكل الناس . « قل هل تتربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا أنا منكم متربصون » (٥٢ — التوبة) ، « ومن نصر الله ينصره الله » « ولينصرن الله من ينصره » (٤٠ — الحج) ، « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (٧ — محمد) .

المبحث الرابع

الجهاد ..

فرض عين هو ، أم فرض كفاية (١) ..

٧ — يذهب البعض إلى أن الجهاد فرض عين ، ويذهب فريق آخر إلى أنه فرض كفاية . احتج الفريق الأول بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » (٤١ — التوبة) ، ويقولون : « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما » . . (٣٩ — التوبة) ، ويقولون سبحانه : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . . . » (٢١٦ — البقرة) ، واحتجوا — كذلك — بما رواه أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » أما الفريق الآخر فقد استدلل بقوله تعالى : « لا يستوى القاعدون . . إلى . . وكلا وعد الله الحسنى » (٩٥ — النساء) وهذا يدل على أن القتالين غير آثمين مع جهاد غيرهم . واستدلوا — كذلك — بقوله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . . » (١٢٢ — التوبة) ، وبفعل رسول الله (ص) إذا كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه . ويرى هذا الفريق أن الجهاد يتم في ثلاثة مواضع : — أولها : — إذا التقى الزحفان ، وتقابل الصفان ، حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المثالم ، يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ،

(١). فرض الكفاية هو الذي إن لم يقم به من يكفى أئم الناس كلهم ، وإن قتل به من يكفى سقط عن سائر الناس . وعلى المفتى لأين قدامه (ج٩ ، مطبعة العاصمة بالقاهرة ص ١٧٨ وما بعدها أن الخطاب في ابتدائه يتناول الجميع كفرض الأعيان ، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له ، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره .

(٢) — حقوق الإنسان :

واذخروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» (٢٥ — الأنفال) ، وقوله : « واصبروا ان الله مع الصابرين » (٤٦ — الأنفال) ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله » (١٥ — الأنفال) **وثانيها :-** إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم . **وثالثها :-** إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفر معه لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم ائفروا في سبيل الله انقلبتم على الأرض .. » (٣٨ وما بعدها — التوبة) — وقال : (ص) : « إذا استنفرتم فليفرروا » هذه هي الحالات التي يصبح فيها القتال فرض عين عند هذا الفريق — وفيما عداها فإن الأصل عندهم هو أنه فرض كفاية . يراد على الفريق الأول استدلوا بما روى عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « الا تنفروا » و « ملكان لأهل المدينة إلى قوله تعالى » : « يعملون » (الآيات ٣٩ و ١٢٠ و ١٢١ — التوبة) نسختها الآية التالية (١٢٢ التوبة) وهي « وما كان المؤمنون لينفروا كافة .. » قال الطبري : يجوز أن يكون « الا تنفروا يعذبكم .. » خاصا ، والمراد به من استنفره النبي (ص) غامض . قال الحافظ : والظاهر أنها **مخصوصة وليست بمنسوخة** . وقوله تعالى : « الا تنفروا .. » مع قوله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة .. » — يرجع إلى تعيين الإمام ، **والى الحاجة** . (انظر فيما تقدم : المغنى : نفسه ص ١٧٨ وما بعدها) ونيل الأوطار نفسه ص ٢١٩ وما بعدها . ونيه أنه قد حكى في البحر عن العنزة والشافعية والحنفية أنه فرض كفاية . وعن ابن المسيب (سعيد : التابعي أنجيل) — أنه فرض عين . وأضيف أن هذا (أى القول بأنه فرض كفاية) هو رأى الحنابلة (المغنى نفسه ص ١٧٨ —) وفي بداية المجتهد لأبن رشد (وهو مالكي) « فأما حكم هذه الوظيفة (الجهاد) — فأجمع العلماء على أنها فرض على الكفاية ، لا فرض عين ، إلا عبد الله بن الحسن فإنه قال : **إنها تطوع** (٢) . وأما صار الجمهور لكونه فرضا يتولاه تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » الآية .. وأما كونه فرضا على الكفاية فلقوله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة .. الآية » ، رقلوه : « وكلا وعد الله الحسنى » . ولم يخرج — قط — رسول الله (ص)

(٢) وقد جاء في تفسير القرطبي (ملاية ٢١٦ — البقرة) (٣ ص ٣٨) : «... وذكر المهدوي وغيره عن الثوري أنه قال : **الجهاد تطوع** .. » .

للعزف الاترك بعض الناس (ج١ ص ٣٨٠ وما بعدها — كتاب الجهاد ؟ . دأقول : انه فيها عدا الحالات الثلاث التى قال الفريق الثانى انه يتعين فيها الجهاد (القتال فى سبيل الله) — فانه (أى الجهاد) — فيها عدا هذه الحالات ، ووفقا لما ذهب اليه هذا الفريق ، يرجع الى تقدير الحكم ، وهذا التقدير تحكمه الظروف وهذا ما كان يفعله الرسول (ص) فقد كان — أحيانا — يرسل السرايئة ، وأحيانا يعلن الفير العام ، كما فى تبوك . وهذا ما يحدده حجم العملية العسكرية .

٨ — أن الامر — كما سبقت الاشارة — امر مواجهة عسكرية ، نحكمها عوامل سياسية ، فى حرب توشك أن تنشب ، أو هى فعلا ناشئة . ويمكن أن أضيف : أنه اذا لم تكن حرب ، فإن الحرب — دائما — مفروضة (١) ومتوقعة ومن هنا وجب الاعداد لها . والاعداد للحرب أنفى للحرب كما سبق القول وهذا الاعداد فرض عين ، وواجب دائما وفى كل الوقت — لنهرب به عدو الله وعدونا . وهذه اسرائيل التى غرستها وساندتها ودعمتها ، وما زالت ، تساندها وتدعمها — القوى (٢) الكبرى : فى إحصاء حديث أن عدد سكان اسرائيل

(١) فى تفسير قوله تعالى : « .. حتى تضع الحرب أوزارها .. » جاء فى ابن كثير : قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم وكأنه أخذ من قوله (ص) : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يقتل آخرهم الدجال » وبعد أن ذكر ابن كثير أحاديث يفسر المعنى قال : وهذا يقوى القول بعدم نسخ « فإمامنا بعد وأما فداء » كأنه شرع هذا الحكم فى الحرب الى أن لا يبنى حرب . وأقول أن فى هذا اشكلا الى أن الصراع فطرة فى الناس ، وإلى أن الصراعات — فى صورة حرب أو غيرها — باقية ما بقى الناس . ولو شاء الله لانتصر على الكافرين بكمال من عنده . « ولكن ليبلى بعضكم ببعض » أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الاعداء ليختبركم ويبلو أخباركم . « أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا مئكم ويعلم الصابرين » . ولولا دفع المؤمنين للكافرين لفسدت الأرض . والعليقة للقتوى . ويأبى الله إلا أن يتم نوره . (انظر لآيات : ٤ محمد و ١٤٢ — آل عمران و ١٦ التوبة و ٢٥١ البقرة ، و ٤٠ الحج و ١٣٢ طه و ٣٢ التوبة) .

(٢) على رأس هذه القوى الولايات المتحدة الامريكية ، أغنى وأقوى دولة فى العالم (ماديا) . وفى ص ٤ — أهرام ١٩٨٦/٤/٦ أن منظمة أمريكية خاصة ذكرت أن تعداد السكان الأمريكين تجاوز ٢٤٠ مليوناً من أول نوفمبر =

والأراضي الغربية المحتلة ٥٦ مليون نسمة ، من بينهم ٢٥١ مليون يهودي مقابل ٢٠٥ مليون فلسطيني ، وأعلن متحدث باسم معهد الإحصاء الإسرائيلي أن « ٤١ ألف إسرائيلي يقيمون في المستوطنات الإسرائيلية بالضفة الغربية المحتلة كما أن ٢٠٠٠ إسرائيلي يقيمون في قطاع غزة (انظر ص ٤٠) هرام الجمعة ٤/٤/١٩٨٦ » . أن عدد المسلمين في أنحاء المعبورة يدور حول الألف مائون نسمة ، والعرب — وحدهم لا أدري — بالضبط — كم عددهم ، لكنني أدري أن عدد سكان مصر والسودان — وحدهما — يزيد على السبعين مليوناً . وإسرائيل تعربد — في منطقتنا وضدنا — وتعربد ، وتعمل ما تريد أن تفعل ، انها — كما تقول — ذات ذراع طويلة ، تستطيع أن تملك بها حتى المناطق البعيدة . ومثذ شهر قليلة ضربت بطائراتها المكاتب الفلسطينية في تونس ، ومنذ سفين قليلة ضربت المفاعل النووي بالعراق (ومنذ أسلبيع قتلت المجاهد الفلسطيني « أبو جهاد » وهو في بيته في تونس . الى آخره الى آخره . . . ولم يفعل العرب ولا المسلمون ازاء هذه الاعتداءات شيئاً ، الا انصياح . أن إسرائيل تبقى سياستها نحونا (نحن العرب والمسلمين جميعاً) ، وهي واثقة من انقسامنا فيما بيننا ، وأعود وأقول : أن الاعداد ، وللجميع ، وعلى أحدث اسلحة العصر . فرض عيني . والى جانب هذا الواجب — كصورة من صور الجهاد ، هناك واجبات أخرى ، كلها جهاد في سبيل الله وعلى كل منا أن « ينفذ » الى كل ما يستطيعه منها ، ليقاد الاقتصاد متكامل قوى . . . اننا — لكي نستطيع الوقوف أمام أعدائنا — يجب أن نعمل — نحن العرب والمسلمين — على الاكتفاء ذاتياً ، وخاصة فيما يتعلق بالغذاء والسلاح . وكل هذا جهاد ، وخير جهاد . . . وأضعف وأشير الى الجهاد بالملك وباللسان ، وما أكثر وجود الانشقاق في هذين النوعين من أنواع الجهاد (وانظر ما سيأتي في المبحث التاسع عشره أن الحديث طويل ، لكن لا يفوتني أن أشير ، وباهتمام — الى الجهاد بالقلب . أنه فرض عيني ، أنه نور يجب أن يبقى مضيئاً في قلب كل مسلم ، وأن يبقى كذلك دائماً . . .

١٩٨٥ ، وأنه — اذا استمر المعدل الحالي — فيصل العدد الى ٢٥٠ مليوناً عام ١٩٩٠ (وفي نفس الخبر أن عدد الأمريكيين كان عام ١٧٩٠ — أقل من أربعة ملايين نسمة . .)

البحث الخامس

الرسول القدوة

والحل الاسلامي

٩ — من حديث له عليه الصلاة والسلام أنه « خيار من خيار من خيار . » . نجداه الأعلى ، هما رسولا الله إبراهيم وإسماعيل . وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الذي كانت اليه وظائف الحرم كما كانت اليه الرئاسة في مكة وقريش جميعا ، وقد بقيت هذه الوظائف والرئاسات في ذريته الى أن جاء الاسلام . . هذا النبي الكريم المحمد النقي المعدن ، النبيل العنبر الذي اختاره الله ليكون خاتم النبيين ، و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (١٢٤ — الأنعام) — هذا النبي نشأ يتيما فقيرا . وفي ذلك يقول — جل وعز — « ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » (الآيات ٦ و ٧ و ٨ من سورة الضحى) . هذا اليتيم الفقير بدأ ومضى ومات وهو يعين الله . « وكفى بالله نصيرا » (٥ — النساء) . . ومما جاء في القرآن الكريم على لسان أعداء محمد والاسلام والمسلمين « وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . » أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون (٣١ و ٣٢ الزخرف) كان محمد عليه الصلاة والسلام في الأربعين من عمره ، وكان يتحدث في غار حراء قرب مكة ، حين نزل عليه الوحي لأول مرة ، بأول ما نزل من القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . » (الآية الأولى من سورة العلق) . وتوالى نزول القرآن على رسولنا الكريم ، بداية من هذا اليوم ، وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاما حتى اختار جوار الله . وكان القرآن الكريم ثلعم السند والرفيق والأنيس والهادي الى سواء السبيل . . لقد أمضى عليه الصلاة والسلام — بعد البعثة — ثلاثه عشر عاما بمكة ، لم يؤمن به — خلالها — الا القليلون . وكان المسلمون ثلثة ومئة ، وسط كثرة كفرة طاغية . وقد أمضى صلى الله عليه وسلم ثلاث سفوات من مبعثه وهو يدعو الى الدين سرا ، الى أن نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » (٩٤ الحجر) . وقوله تعالى :

« وانذر عشيرتكَ الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. » (٢١٤ و ٢١٥ الشعراء) : وقوله تعالى : « وقل : انى أنا النذير المبين » (٨٩ الحجر (١)) . وصدع عليه الصلاة والسلام بالأمر ، ودعا الى الدين جهرا ، ولما عاب آلهة قريش اشهد اذاهم له (السيرة — نفسه ص ٢٦٤) عن محمد بن اسحاق قال : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل بيعة العقبة ثم يؤذن له فى الحرب . . انها يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى » والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم . . منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفى كل وجه . فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه (ص) ، وعذبوا ونفوا من عبده ووجده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه . اذن الله لرسوله وللمسلمين فى القتال والانتصار . ممن ظلمهم . ويغى عليهم ، فكانت أول آية انزلت اذنه له فى الحرب والقتال ولم يغى عليهم — فيها بلغنى عن عروه بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تتارك وتعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . الى قوله » والله عاقبة الأذور » (٣٩ الى ٤١ الحج) . أقول : ثلاثة عشر علما ، أمضاها عليه الصلاة والسلام وصحبه بمكة ، كانوا قلة ، وكانوا يتعرضون لكثير من الأذى والعنف ، ولم يكن لهم من سلاح سوى الصبر والصفح . . ثلاثة عشر علما . مدة لبست بالقصيرة ، انها أكثر كثيرا من نصف المدة التى علشها الرسول بعد بدء الوحي . . لم ينشئ خلالها قوة عسكرية ، ولم يقيم دولة . . لكن هذه السنوات كانت هى « الأساس » ، كانت هى الفترة التى تم فيها غرس العقيدة وتعهدها واعداد الطلائع ، المؤمنة بالله وبرسوله ، وباليوم الآخر ، وبالكتاب الذى تتابع نزول الوحي به عليه . وبأمر من الله قاتلوا السيئة بالحسنة ، والأذى بالصفح ، والعنت بالصبر ، صبر أولى العزم . وكانت لهم من عبادة ربهم ، وتلاوة كتابهم وحب نبيهم ، والعمل الدائب الصادق بما تلقوه عنه — قوة أى قوة . . عاشوا سياستهم اللين والرفق ، وعلنهم وجهرهم كباطنهم وسرهم . . لم يكرهوا أحدا على دينهم ، وانما جذب الناس وشدهم اليهم وإلى دينهم ، سلامة عقيدتهم ، وطهارة سلوكهم .

(١). وانظر — على سبيل المثال — السيرة لابن هشام — القسم الأول — تحقيق مصطفى السقا وآخرين طبعة ثانية ص ٢٦٢ وما بعدها .

١٠ — وللباحثين والداعين الى حل اسلامى وذوثة اسلامية — فى سيرة الرسول وصحبه — وهم قلة بمكة — درس وأسوة . وأمامهم مجالات واسعة لاعداد الطلائع دينيا وجسميا وعقليا . أمامهم المشاركة فى العمل العام : كمحو الأمية ، ونشر الوعي الدينى والسلوكى بالحكمة والموعظة الحسنة . أمامهم فرص كثيرة فى مجالات العمل الاجتماعى والصحى والتعليمى والرياضى . أمامهم أبواب مفتوحة لتحفيظ القرآن ، وتبرخه بالقرآن والسنة . أن سميت الاسلام المميزة — بعد الايمان بالله ورسوله — هى الأمن بالمعروف والنهى عن المنكر . وهذا الأمر موجه الى الجميع . انه وظيفة الحكومة الاسلامية : « وانه — كذلك — واجب كل مسلم ، فى كل موقع . ان الامم ، وان الاوطان ، تبنى بإخلاص بالله لله ، وباتقان العمل . ولست بحاجة الى التذكير بما جاء فى هذا المعنى فى كتاب الله وسنة رسول الله ان امتان العمل ابتغاء مرضاة الله عباده وخير عباده — وجهاد وخير جهاد . فاذا كانت الدولة ثائتية (أى ديمقراطية) ، فالطريق مفتوح للعمل فى النور وفى حدود الدستور للوصول الى مواقع الحكم . واذا كانت « استبدادية » وكان للرأى العام ضدها ، فليس من سبيل أمامهم سوى « العصيان المدنى » ، وهو تصرف حضارى . ولقد نصت الثورة السودانية (ثورة ابريل ١٩٨٥) على ذلك فى أحسن مواضعها (١) . ان شعب السودان الشقيق قد أسقط الحكم العسكرى مرتين بطريق الثورة الشعبية ، غير الدموية (أى باعلان العصيان المدنى) . كانت الثورة الأولى هى ثورة أكتوبر ١٩٦٤ ، وكانت الثانية هى تلك التى سبق ذكرها (ثورة ابريل ١٩٨٥) والأمل كبير فى أن يوفق الله الحكومة السودانية الجديدة (وهى أحزابها الكبيرة الثلاثة ذات عراقة اسلامية) — أن يؤتمت بها ويعينها على التغلب على المشاكل الكبيرة (٢) — التى يعانى السودان منها .

(١) انظر الملحق الأول لكتابه « غزوات الرسول وسرايه » . روس مستغادة « ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ .

(٢) انى مطمئن الى أن الحكام الجدد لن يسيئوا استعمال السلطة : لكنى أخشى أن يسيء بغض الأفراد أو الجماعات استعمال الحرية ! وتذكرت منذ أيام (أكتب هذا يوم ٢٤/٤/١٩٨٦) — قرأت — فى الأهرام غالبا (وربما الاخبار) أن مطار الخرطوم أغلق لمدة ثلاثة أيام ، وأن المطارات الأخرى أخطرت بذلك . . والسبب هو اضراب عمال المطار تضامنا مع رئيسهم حسن بشير الذى يحقق معه عن وقائع وقعت فى العهد السابق . . والاضراب فى :

وقد منتهىها مشكلة «الجَنُوب» والمشكلة الاقتصادية . . . أن القلوب يملؤها الاطمئنان بأنها ستحقق ما قلته في مقدمة كتابي «الاسلام والدولة» : انه «إذا تولت التطبيق الطلائع المؤمنة ، التي تعمل لصالح الكل ، لا من أجل الدنيا ، ولكن من أجل الآخرة — إذا تولت التطبيق القيادات المخلصة الرشيدة التي تتصف بالتواضع وتؤمن بالاعتدال وتأخذ بالتدرج ، وتجمع بين الادراك السليم لروح الدين ، والاستيعاب الفكي لفضايا العصر» — «فليس المسلمون وحدهم ، وليست الأقليات غير الاسلامية وحدها ، وانما العالم أجمع ميشهد عصرًا جديدًا ، ومفاهيم حقيقية للمعدل والسلام والحرية — يعيش في ظلها الوارف — جميع الناس . » واذا جاءت البداية من السودان فهو بذلك جدير .

المبحث السادس

حول مراحل القتال

١١١ — يقول تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » (الآية ١٩٠ البقرة) . وعن هذه الآية جاء في تفسير القرطبي — لا خلاف في أن القتال كان مخطورا قبل الهجرة ، بقوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » (٣٤ فصلت) : وقوله : « عاف عنهم » (١٣ — المائدة) وما كان منله مما نزل بمكة (١) .

==

بلاد « الديمقراطية السياسية » حق ، لكن قد يساء استعماله . . . أما في الصورة السابق ذكرها فهو اعتداء صارخ على الحريه . انه اعتداء آثم على سلطة لها استقلالها وقداستها — هي سلطة التحقيق والقضاء . ، واضيف : ان الذين نفظهم الشعب ، وخذلهم فرز صناديق الانتخابات وهم شر اذم تحمل أسماء تشير الى اتهامها بالولاء لجهلت معرومة . هذه الشراذم ستملأ الدنيا صياحا وصراخا ، وهذا من أكبر ما بهدد « الديمقراطية » ويضيف الى المشاكل التي تنتظر الحكومة السودانية الجديدة ، مشكلة أعانها عاينها الله . ولنا في يقطعة الشعب السودانى ، وما تميز به من عمق الوعي السياسى ، لنا في الشعب الكريم أهل كبير في أن يجعل من شعب هؤلاء غناء يبدده السبل ، وتذروه الرياح .

(١) في أوضح التفسير أن سورة المائدة مخفية الا آية ٣ فنزلت بعينات في حجة الوداع .

فلما هاجز النبي (ص) إلى المدينة أمر بالقتال فنزلت الآية ١٩٠ البقرة (قاله
 الربيع ابن أنس وغيره) ويمضى القرطبي ثلاثا . لما خرج الرسول (ص) مع
 أصحابه إلى مكة للعمرة ، ونزل الحديبية صده المشركون عن البيت ، ثم
 سألوه على أن يرجع عامة ذاك إلى المدينة ، وعلى أن تخلي له مكة في
 العام المقبل ثلاثة أيام . فلما كان من قاتل ، تجهز وصحبه لعمرة القضاء .
 وحاف المسلمون غدر الكفار ، وكرهوا القتال في الحرم وفي الشهر الحرام .
 فنزلت هذه الآية (١٩٠ - البقرة) — أى يحل لكم القتال ان قاتلكم الكفار .
 فالآية متصلة بما قبلها من ذكر الحج . فكان عليه السلام يقاتل من ثأله ،
 ويكف عمن كف عنه حتى نزل قوله تعالى : « فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم »
 (الآية ٥ - التوبة) (٢) أتى نسخ الآية ١٩٠ البقرة . . قال ذلك جماعة
 من العلماء . وقال ابن زيد والربيع نسخها قوله تعالى : « وقاتلوا المشركين
 كافة كما يقاتلونكم كافة . . » (٣٦ - التوبة) . فأمر بعد نزول هاتين
 الآيتين بقتال جميع الكفار . وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد :
 الآية محكمة . ومعناها — حسب قولهم : قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم ،
 ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان ونحوهم ممن لا يقاتل — وفى زاد المعاد لابن القيم —
 فصل فى ترتيب سياق هدية مع الكفار والمنافقين من حين بعثه الى حين
 وفاته (ج ٢ ، ص ٨١ وما بعدها) . قتال : أول ما أوحى اليه ربه أن يقرأ
 باسم الله الذى خلق ، أى أن يقرأ فى نفسه ولم يأمره اذ ذاك بتجليغ .
 ثم أنزل عليه : « يا ايها المدثر . قم فأنذر » ثم أمره أن ينفذ عشرينه الأقربين ،
 ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب فاطبة ، ثم أنذر
 العالمين (انظر — على سبيل المثال : الآيات : ١ - العلق ، و ١ و ٢
 المدثر و ٢١٤ الشعراء و ١٠ الانعام و ٩٢ من نفس السورة و ٧ الشورى
 والفرقان . . الى آخره) . وقد أقبل (ص) بضع عشرة سنة — بعد نبوته
 — ينفذ بال دعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصفح . ثم ادن له
 فى الهجرة ، وأذن له فى القتال ، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن
 اعزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله . ولقد
 استقر أمر الكفار معه — بعد نزول « براءة » على ثلاثة أقسام : — محاربين
 نه وأهل عهد ، وأهل ذمة . ثم آلت بحالة أهل العهد والصلح إلى الاسلام .

فصاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه فصاروا
أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسلم له آمن ، وحائفة
محارب . وأما سيرته في المنافقين فانه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، وبكل
سرايرهم إلى الله ، وأن يجاهدكم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ،
ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهى أن يصلى عليهم
وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم .
(انظر — على سبيل المثال الآيتين ٨٤ التوتة ، و ٨٠ من نفس السورة)
ويعقب على هذا التلخيص عن ابن القيم المرحوم سيد قطب « في ظلال
القرآن — مجلد ٣ ص ١٥٧٩ وما بعدها بما أوجزه فيما يلي : — من هذا
التلخيص لمراد الجهاد تتجلى سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا
الدين : السمة الأولى هي الواقعية الجدية في منهجه ، فهو حركة تواجه
واقعا بشريا ، وتواجهه بوسائل مكلفة لوجوده الواقعي — تواجهه بالدعوة ،
وتواجهه بالقوة والجهاد لازالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها ، والنزح
بين جبهة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات . انها لا تستخدم التهرج
المادي لضمائر الأفراد ، وانما ضد الحكيم الطغاة الذين يحولون . بين هؤلاء
الأفراد المعلومين على أمرهم وبين نور الله) — السمة الثانية لاسلام الواقعية
الحركية ، فهو حركة ذات مراحل ، والسمة الثالثة هي أن هذه الحركة الدائمة
والوسائل المتجددة لا تخرج هذا الدين عن قواعده ، ولا عن أهدافه المرسومة
منذ اليوم الأول . . والسمة الرابعة هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين
المجتمع المسلم ووسائل المجتمعات الأخرى . . وسأناقش آراء الشهيد سيد
قطب في المبحث الثامن عشر من هذا الفصل) .

١٢ — وأعود إلى ما تقتله عن القرطبي وأقدم الملاحظات التالية : —

أولا : — سبق أن ذكرت أن السورة التي ورد بها قوله تعالى «
فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين » هي سورة المائدة ، وهي
مدينة ، وقد نزلت بعد سورة « الفلاح » التي نزلت عند الانتصار من الحديبية ،
وقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله
بأمره » (الآية — ١٠٩) (وهي الأخرى مدينة) . وهذا يكفي لئلا
قول القرطبي : « وما كان مثله مما نزل بهكذا » . وآية المائدة نزلت في

«اليهود» ، وقبدا الآية بقوله تعالى : « فيها نقصهم ميثاقهم لعناهم . . » وكذلك آية البقرة وأولها : « ود كثير من أهل الكتاب لو يرد دونكم من بعد ايمانكم كفارا » حسدا من عند أنفسهم . . » . ومثل هذا كثير مما نزل بالمدينة ، ومن ذلك — وعلى سبيل المثال — ما جاء فى سورة الأحزاب « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم ، وتوكل على الله . وكفى بالله وكيلًا » (٤٨) وهكذا ، فان كثيرا من الآيات التى وردت بمثل هذا المعنى — معنى العفو والصفح والدفع بالتى هى أحسن — وقيل : انها منسوجة بالآية — ٥ — النبوة — أو — ٣٦ — منها (وهما آيتا السيف عند الفقهاء القدامى) — هكذا نرى كثيرا منها مما نزل بالمدينة (١) ، وسأعود الى آيتى السيف بعد .

ثانيا : — فى معجم البلدان لياقوت الحموى ، قال محمد بن موسى الخوازمى : اعتمر النبى (ص) عمرة الحديبية ووادع المشركين لمضى خمس سنين وعشرة اشهر الهجرة النبوية (مجلد ٢ ص ٢٣٠ طبعة دار بيروت) — فالذى نقلته فيها تقدم عن القرطبى (منسوبا الى جماعة من العلماء) عن سبب نزول الآية محل نظر . فقبل ذلك ، قوتل الرسول وقتل قى بدر وغيرها . ثم أن هذا انذى ذكره القرطبى (عن جماعة من العلماء) متناقض مع ما ذكره عن الربيع بن أنس وغيره من أن النبى (ص) أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة . وقد ذكر القرطبى أنه روى عن أبى بكر أن أول آية نزلت فى القتال هى قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . » (٣٩) — (الحج) ثم عنب على ذلك بقوله : والأول (أى القول بأن أول ما نزل فى القتال هى الآية ١٩٠ البقرة) — أكثر ، وأن آية الاذن انما نزلت فى القتال عامة لمن قاتل ولن أميقاتل من المشركين . (ج ٢ ص ٣٤٧) .

ثالثا : — تفسير قوله تعالى «ولا تعتدوا . . » (فى الآية ١٩٠) أى لا تعتدوا فى قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم مما نسب الى ابن عباس وغيره ابن عبد العزيز ومجاهد (٢) ، وذكره القرطبى ، وبالتالى فان الآية تكون محكمة

(١) وانظر : الاسلام والدولة للمؤلف ، نفسه بند ٨ ، وانظر المحقق الثالث فى نهاية الكتاب .
(٢) هذا الراى لا يختلف عن الراى الآخر المساند لدى الفقهاء القدامى =

١٠ . الخ . هذا التفسير — أيضًا — محل نظر : — قلاية تقول : « قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا .١٠ » فالعنى الأول المتبادر الى الذهن والأسبق الى الفهم هو : قاتلوا في سبيل الله من يقاتلكم من الكفار ، ولا تعتدوا يقتل من لا يقاتلكم ، بل كفوا عنه ، أى لا تبدعوا بتتالهم هذا هو المعنى المباشر فى فهم الآية . أما ما روى عن ابن عباس وعمر ابن عبد العزيز ومجاهد ، فان الآية تحتله ، لكن ليس فى المقام الأول ، بل فى المقام التالى وبطريق غير مباشر . ان الآية — كما قلت — تحتله ، ونحتل — كذلك — لا تعتدوا بالقتال فى غير سبيل الله ، أى رياء أو شجاعة أو حمية جاهلية ، وتحتل — أيضا — لا تعتدوا ، ولا تخالفوا ما جاء فى الاسلام من آداب الحرب ، وهى كثيرة (٢) . وتحتل : ولا تعتدوا ، بأن يكون قتلكم بداية ونهاية من أجل الذكر أو المغنم . . الى آخره ، وأنى أضيف الى كل ما تقدم أن الآية محكمة : قائمة لم تنسخ ، وهى محكمة بالمعنى الذى ذكرته ، واحتمالاته الكثيرة ، وفى المقدمة عدم بدء الكفار بالقتال ماداموا يسألوننا ، انها محكمة لأن القتال فى الاسلام ، كان ومازال للدفاع وحماية الدعوة ومنع الفتنه ، وليس مقتلة الكفار ابتداء بسبب التكفر .

رابعاً : ترتباً على ما تقدم وامتداداً له ، يكون القتال قد مر فى الاسلام بهمرطنين :

المرحلة الأولى : امتدت الى كل الأعوام الثلاثة عشر ، انتهى بدأت بالبعثة وانتهت بالهجرة ، وكان القتال محالورياً خلالها : اذ كان المسلمون قلة ، بل اقل من الفلة ، وكان أعداؤهم من قريش وغيرها ، كثرة ذات قوة ومنعة .
أما المرحلة الثانية فقد بدأت بالهجرة ، حيث صار للمسلمين بالمدينة جيش ودولة . . وهذه المرحلة الثانية مستمرة حتى اليوم وغدا ، وما جاء فى الآية ١٩٠ البقرة معمول به منذ نزولها ، ومعمول به دائماً . والفقه الحديث والمعاصر — يذهب الى جملة هذا المذهب . أما طبقاً للفقه القديم فيوضحه هذا السؤال :

= مر حيث تقسيم مراحل القتال فى الاسلام الى ثلاث وان المرحلة الثالثة والاخيرة تبدأ بنزول سورة براءة ، وفيها الأمر ببدء الكفار بالقتال « على الاطلاق » . (٣) انظر ما سيأتى بعد عن آداب الحرب فى الاسلام . الملحق الاول .

الذى وضعه محمد الرازى فخر الدين (٣) ، قال : ما السبب فى ان الله تعالى أمر أولا يقتل من يقتل ، ثم — فى آخر الامر — اذن يقتلهم سواء قاتلوا أم لم يقتلوا ؟ ثم اجلب : فى أول الامر كان المسلمون قليلين ، فكان الصلح استعمال الرفق واللين ، فلما قوى الاسلام ، وكثر الجمع ، واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حالا بعد حال ، حصل اليأس منهم ، فلا جرم أمر الله تعالى بقتلهم على الاطلاق وهذه هي المرحلة الثالثة : — التى بدأت ونها لهذا الراى — يزول قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (الآية ٥ — التوبة) التى نسخت الآية ١٩٠ البقرة ، — فى رأى — أو الآية ٣٦ من نفس السورة — فى رأى آخر مما سبق ذكره . ومن يؤمّن هذا الامر بالقتل لكل الكفار : وعلى الاطلاق (٤) ، كما يقول الرازى .

المبحث السابع المسجد الحرام والشهر الحرام والبدء بالقتال

١٣١ — يقول تعالى : « ... ولا تقفلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه .. » (من الآية ١٩١ البقرة) يقول القرطبى : (ج٢ ص ٣٥١) : للعلماء فى هذه الآية — قولان : أحدهما أنها محكمة : قتاله مجاهد ، فلا يجوز قتال أحد غى المسجد الحرام الا أن يقتل . وبه قال طائفة ، ويقتضيه نص الآية ، وهو الصحيح من القولين ، واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . وفى الصحيح عن ابن عباس قال : نال رسول الله (ص) : يوم فتح مكة : أن

(٣) انظر له « مفاتيح الغيب » ج٢ ص ١٤٨ وما بعدها — تفسير الآية ١٩٠ البقرة .

(٤) انظر — أيضا — تفسير الطبرى (ت — ٣١٠ هـ) (تفسير الآية ١٩٠ البقرة) — طبعة دار المعارف بمصر ج٣ ص ١٢٥ وما بعدها ، والقرطبى فى تفسير نفس الآية ج٢ ص ٢٤٨ ، وتفسير ابن كثير لنفس الآية . . (الجلد الأول ص ٣٢٧ وما بعدها) ، وانظر — تفسير الجلالين : وفيه « ولا تعذوا » — أى بابتداء الكفار بالقتال ، وفيه — كذلك — أن هذا الحكم قد نسخ بآئى برائة (٥ و ٣٦ منها) ، ومختصر أبى ابراهيم المزنى الشافعى المتوفى عام ٢٦٤ هـ منشور بهامش كتاب الام للشافعى ، طبعة كتاب الشعب ج٥ ص ١٨٢ ، (أصل فرض الجهاد) .

هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة ، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل الى الساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » والراى الثانى أنها منسوخة . قل قتادة : منسوخة بقوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتهم » (٥ — براءة) ، وقال مقاتل : نسخها قوله تعالى : « واقتلوه حيث تثقتوهم » (١٩١ — البقرة) فيجوز الابتداء بالقتال فى الحرم . هذا ، ومما يجدر ذكره أن ابن كثير فى تفسيره الآية لم يذكر الا الراى الأول فقط (١) (المجلد الأول — طبعة كتاب الشعب ، ص ٣٢٨ وما بعدها) .

٤١ — وعن القتال فى الشهر الحرام — يقول تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصدد عن سبيل الله ركز به ، والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتال ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٢١٧ البقرة) : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم » (٢١٨ من نفس السورة) عن الآيتين ٢١٧ و ٢١٨ : قيل . فى سبب نزول الآية ٢١٧ أن رسول الله (ص) كان قد بعث رهطاً بلهارة عبد الله بن جهش (١) ، وأعطاه كتاباً وأمره ألا يفتحها وينظر فيه الا بعد يومين من السير . وصدع عبد الله بالأمر ، ولما فتح الكتاب (بعد سير يومين) قرأ فيه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة (بين مكة والطائف) فترصد بها قريشاً ، وتعلم أخبارها . ونفذ عبد الله ومن معه ما جاء بالكتاب . ومرت (وهم بنخلة) غير لقريش تحك تجارة فيها عمرو بن الحضرمي . وظن الرهط أنهم فى أول يوم من شعبان فرمى

(١) والراى — عندى فيها أورده واقتصر عليه — ابن كثير ، فالعبارة واضحة — لفظاً ومعنى ، وهو — أيضاً — متناسب مع الآية التى قبلها .
(١) عن هذه السرية — انظر — أيضاً — المرحوم الاستاذ العقاد — اسلاميات — عبقرية محمد ص ٤٠ وما بعدها — طبعة دار الشعب .

أجدتهم (عقائد بن عبد الله التميمي) عمرو بن الحضرمي فقتله ، وأسبروا عثمان
ابن عبد الله والحكم بن كيسان ، ثم قدموا المدينة بالغير والأسيرين . ثم
تبين أنهم قتلوا وأسروا وغنموا في آخر يوم من رجب (أي في أحد الأشهر
الحرم) وقد أكر الرسول عليه الصلاة والسلام قتل ابن الحضرمي في الشهر
الحرام . فسلط في أيدي القوم (عبد الله وصحبه) . وقد اغنم المشركون
واليهود الفرصة ، وأطلقوها حملة دعائية ضد المسلمين الذين فعلوا ما فعلوا
في أحد الأشهر الحرام . فزلت الآيتان ٢١٧ و ٢١٨ السابق ذكرهما . فالآية
٢١٨ تقول في هؤلاء الرهط (وكللوا ثمانية من الرجال ، وقيل تسعة :
« أن الذين آمنوا ، والذين هاجروا رجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون
رحمة الله ، والله غفور رحيم » -- فطلب القوم نفسا . أما الآية ٢١٧ فقد
نزلت جوابا عما سأل السائلون : هل يجوز القتال في الشهر الحرام فحدثهم
الله سبحانه وتعالى في كتابه أن أقتل في الشهر الحرام حرام كما كان .
أن القتال في أشهر الحرام أمر كبير ، لكن ما فعلته قريش أكبر : صدت
عن سبيل الله ، وكفوت بالله . وصدت وردت عن المسجد الحرام ،
وأخرجتم منه (وأنتم أهله) . فإذا كان ما فعلتم من القتل في الشهر الحرام
كبيرا . فإن ما فعلته قريش من الصد والكفر والإخراج أكبر وأكبر . والفتنة
(فتنة المسلم عن دينه بالترغيب والترهيب والتعذيب) أكبر من القتل . ثم
أنهم « لا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا » . (انظر
فيما تقدم عن الآية ٢١٧ و ٢١٨ تفسير القرطبي ج ٣ ص ٤٠ وما بعدها ، وتفسير
ابن كثير ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها) وانظر كتاب « غزوات الرسول وسراياه
مسلسل — ٨ — » وفي تفسير القرطبي (نفسه ص ٤٣) أن العلماء قد اختلفوا في
هذه الآية (٢١٧) فمألجهمور على نسخها وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم
مباح ، واختلفوا في نسخها ، فقال الزهري : نسخها « وقتلوا المشركين
كافة » (٣٦ — النبوة) وقيل : نسخها غزو النبي (ص) ثقيفا في الشهر
الحرام . . . وفي نفس المرجع أن النبي (ص) قد عقل ابن الحضرمي (٢) .
وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله « براءة » . وكان عطاء
يقول : الآية محكمة ، ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم . وروى أبو الزبير
عن جابر قال : كان النبي (ص) لا يقتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى .

(٢) عقل القتل = أعطى ورثته دينه بعد قتله .

هذا ، وقد جاء فى تفسير ابن كثير نأية ٣٦ من سورة «التوبة» . ونصها :
 « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات
 والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقتلوا
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا ان الله مع المتقين » جاء فيه :
 الأشهر الحرم هى : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وقد كان جمهور
 العرب فى الجاهلية يحرم القتل فى هذه الأشهر . وقد اختلف العلماء فى
 تحريم ابتداء القتال فى الأشهر الحرم ، هل هو منسوخ أم محكم على قولين :
 أحدهما ، وهو الأشهر أنه منسوخ ، لأنه تعالى قال ها هنا « فلا تظلموا فيهن
 أنفسكم (٣) » وأمر بقتل المشركين ، وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك
 أمرا عاما ، فلو كان محرما فى الأشهر الحرم لا وشك أن يقيده بانسلاخها ،
 ولان رسول الله (ص) حاصر أهل الطائف فى شهر حرام (وهو ذو القعدة) ،
 كما ثبت فى الصحيحين ، أنه خرج الى هوازن فى شوال ، فلما كبرهم
 واستفاء أموالهم ، ورجع منهم ، فلجأوا الى الطائف ، عمد الى اللطائف فحاصرها
 أربعين يوما ، وأنصرف ولم يفتحها فثبت أنه حاصر فى الشهر الحرام ،
 والقول الآخر : أن ابتداء القتال فى الشهر الحرام حرام ، وأنه لم ينسخ
 تحريم الشهر الحرام ، لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
 ولا الشهر الحرام . . » (٢ — المائدة) ، وقوله : « الشهر الحرام بالشهر
 الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
 عليكم » (١٩٤ — البقرة) وقوله : « فإذا انسلك الأشهر الحرم فانتلوا
 المشركين حيث وجدتهم » (٥ التوبة) وأما قوله تعالى : « وقتلوا
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، أى جميعكم ، كما « يقاتلونكم »
 جميعهم . ويحتمل أنه متقطع عما قبله ، وأنه حكم مستأنف ،
 ويكون من باب التهبيج والتحضيض . أى كما يجتمعون حربكم
 . . فاجتمعوا أنتم — أيضا — لحربهم . وقتلوهم بقتلهم ما يفعلون ،
 ويحتمل أنه اذن للمؤمنين بقتل المشركين فى الشهر الحرام ، اذا كانت البداءة
 منهم . كما قال تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص »
 (١٩٤ البقرة) ، وكما قال : « ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يتاتلوكم »
 فيه ، فان قتلتوكم فقاتلوهم . . » (١٩١ — البقرة) ، وهكذا الجواب عن

(٣) انظر فى تفسير قوله تعالى : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » —

ما سيأتى — بند ٢٢٠ .

حصار رسول الله (ص) أهل الطائف واستصحبه الحصار الى ان دخل الشهر الحرام . . . لانه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء .

المبحث الثامن

في التحريض على القتال

١٥ — قتل « النفس » بغير نفس (أو بغير حق) من أكبر الكبائر يقول تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنها قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنها أحيا الناس جميعا . . . » (٣٢ المائدة ، وانظر — كذلك — ٩٣ — النساء) وانظر — أيضا — قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » (٣٣ الاسراء) وهذا الذي كتب على بنى اسرائيل كتب على غيرهم أيضا . فمن يقتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض (أو بغير حق عامة) فكأنها قتل الناس جميعا ، لانه بعمله هذا سن القتل ، وجعل كل الناس عرضه له . . . جزاؤه في الآخرة جهنم . « خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه . واعد له عذابا عظيما » . (انظر على سبيل المثال — أوضح التفسير لابن الخطيب — تفسير الآيات السابق ذكرها) . وفي الكتاب الكريم « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . . . » (٢١٦ — البقرة) وطبيعى أن يكره الانسان القتال . . . يكره أن يقتل . . . الا اذا كان في سبيل الله ، فهو واجب على المؤمن . . . ومن هنا يقول تعالى : « . . . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن نحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (نفس الآية السابق ذكرها) . وفي هذا يقول تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . . . » (٤٠ — الحج (١)) . فاذا لم يقيم أهل الحق بدفع أهل الباطل فسدت الأرض وفي التحريض على القتال ، يقول تعالى : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ، ان الله يحب المحسنين » (١٩٥ — البقرة) . نالاستسلام لنعموة العيش ، والقفود عن الاستعداد والاعداد والدفع هلاك محقق ، وذلك دميم . ان السلام العادل والشامل والدائم أمنية الجميع ولكن هيهات ! ان تحقيق الآمال وإن قضايا التحرير ، وإن الأمور جميعها لا تأتي

(١) انظر — أيضا الآية — ٢٥١ البقرة .

(٣) — حقوق الانسان)

بالنمى . . وليس فى الآفاق . . آفاق العلم أجمع ، ما يشير الى أن هذا اليوم (يوم السلام) التسليم والعدل والدائم (قريب . وتديما قال الشاعر العربى :
أرى شى سلاحي لا أبالك اننى أرى الحرب لا تزداد الا تهاديا
وقد يثبت المرعى على ذمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا

ان الفناقضات ، وان الهوة بين فقر الفقراء وغنى الاغنياء ، وان الاطماع ، اطباع الانبياء فى الشمع لا تزداد — على مستوى العلم — الا اتساعا . . . ولتجار الحروب ، اعداء الحق والعدل والحرية — لهم فى الوصول الى مآربهم أساليب وأساليب هى عين الكيد والخبت والدهاء . . . انهم — بدلا من أن يجروا يد العون للشعوب الفقيرة ، يبدون بين حكامها ينحرف الخلاف ، لخلق لسواق لتجارة السلاح ، لا ليحاربوا بها ظالمهم ، وانما ليحارب بها بعضهم بعضا . . . ان هؤلاء الاقوياء ما ديون دنيويون انهم فى سكرة نسبوا الله . . ونسبوا اليوم الآخر ، فهم فى طغيانهم يعمهون . ولقد رأينا ، وسنرى بعد ، بعض ما جاء فى القرآن الكريم عن ألوان الكيد التى تعرض لها خاتم النبيين وصحبه من خصوم الدعوة ، وقد تعرض النبيون جميعا فى بني اسرائيل من قبل لمثل ما تعرض له قبيصا من بعد . وفى ذلك يقول تعالى فى بني اسرائيل : « . . . وضربت عليهم الذلة والمسكية ، وباعوا بفسادهم أنفسهم » ، ذلك بانهم كفروا يكفرون بأيلت الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكفروا يعتدون » (٦١ البقرة (٢)) وما صفعه بنو اسرائيل مع ميسى عليه السلام معروف وغنى عن البيان . . أعود وأقول : أن الحرب — فى ذاتها — مكروهة . وهذا مما لا يختلف فيه اثنان . ولقد من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بأن كساهم اللباس يوم الاحزاب : وفى ذلك يقول جل وعز — « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله توفيا عزيزا » (٢٥ — الاحزاب) وعن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله (ص) فى بعض أيامه لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قلم فى الناس فقال : أيها الناس ، لا تتموا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية : فماذا لقيتهم هم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال

(٢) انظر — أيضا وعلى سبيل المثال — ٥ — غفره . و ١٨٣ . آل عمران ١٨٤ من نفس السورة و ١٠ و ٣٤ . الاعمال . . و ٧٠ . المائدة . . الى آخره ،

الديوث ، ثم قلن : اللهم منزل الكتاب ، ومجزي السحاب ، وهازم الأحزاب ،
أهزمهم وانصرنا عليهم » (متفق عليه) (عن رياض الصالحين للنووي —
كتاب الجهاد) .

واقول مرة أخرى : انهم أولياء الشيطان ، الجبلية الطغاة العصابة
انهم تجار الحروب .

• • ويتبين من مراجعة التاريخ أن شعوب أوروبا أشد البشر ضراوة »
وعن أوروبا وضراوتها كتب صاحب قصة الفلسفة (وهو يصدد عرض فلسفة
سبنسر) : « من القبيح أن يتلصص بمبدأ الأخلاق الذي نطبقه على حياتنا
الواقعية نتلصصا كبيرا مع المبادئ التي ندعو إليها ونبشر بها في كنائسنا
وتكتنا . ان الأخلاق المعترف بها في أوروبا وأمريكا هي الأخلاق المسيحية
المسالمة ، ولكن الأخلاق الفعلية هي الأخلاق العسكرية التيقونية التي تعتمد
على السلب والنهب ، والتي استمدت منها الطبقات الحاكمة أخلاقها في
معظم أنحاء أوروبا (٣) . » وأضيف : ان نفس الشيء يقتل في انولايات
المتحدة الأمريكية . وفي أوروبا الغربية أحزاب كبيرة ، تحمل اسم
« المسيحية (٤) » ، فهل وقفت هذه الأحزاب — وانطلاقا من المسيحية التي
تسمى بها — مع قضايا العدل ؟ ان التاريخ القريب والبعيد يسجل عليها
عكس ذلك . وموقفها وموقف أمريكا من الصلف الاسرائيلي ، والحق
الفلسطيني معروف ! وفي أهرام (١٠/٥/١٩٨٦ ص ٥) ترجمة لفصل من
كتاب جديد مؤلفه الأمريكي بيتر ماس Peter Maas عن العلاقات الخفية
بين المخابرات المركزية الأمريكية ، والثدافى ، الذى سلمته تلك المخابرات

(٣) هذه شهادة أحدهم عليهم . والمؤلف هووك ديورانت — ترجمة
عربية — مكتبة المعارف ببيروت ١٩٧٢ ص ٤٨٩ وما بعدها . والمؤلف هو
صاحب الكتاب الكبير المشهور : قصة الحضارة . مشهادته على قومه لها
وزنها وأهميتها .

(٤) انظر ص ٤ أهرام ١٩٨٧/١/٢٧ بعنوان : مشاورات الحكومة
الالمانية الجديدة تبدأ خلال أيام . وقال مكتب الانتخابات الاتحادى أن نتائج
الانتخابات أشارت الى حصول التحالف الهزيبين المسيحي الديمقراطي والمسيحي
الاجتماعى على ٤٤,٣ ٪ . الذى أخره ومن المفروض أن الحزب الديمقراطي
المسيحي في إيطاليا هو أكبر الأحزاب . (انظر أهرام ١٩٨٧/١/٢٧ ص ١٤)
يعنون « أزمة سياسية في إيطاليا تهدد بتغيير الائتلاف الحاكم » .

٢١) قلنا من المتفجرات و ٥٠٠ الف جهازا لتبسف الطائرات . وهذا يعنى أنه على علاقة وثيقة بأمريكا (٥)، ومخابراتها . . . وهذه الأيام تقيم أمريكا وحلفاؤها الدنيا ضد القذافى بتهمة « الارهاب » ومنذ أسابيع قليلة ضربت الطائرات الأمريكية العواصم الليبية ، وكان الضحايا كثيرين ، ومعظمهم من المدنيين ليبيين وغير ليبيين .

وانه اذا كان الاتهام (وهو مازال مجرد اتهم) — موجها الى القذافى، فلماذا يكون انزال العقوبة (وعلى هذا النحو الوحشى) — على الشعب الليبى ، رضىوف الشعب الليبى ؟ انه منطق القوة والأقوياء (مادبا وماديا فقط) انها لغة الشيطان ، فى كل العصور . . . ومنظمة التحرير الفلسطينية — عندا اسرائيل وعندهم منظمة ارهابية . وكل ما يمكن أن يسند اليها انها تكافح لاسنرداد وطنها السليب ١٠٠ انهم هم الارهابيون الحقيقيون ، سواء على مستوى الأفراد والجماعات أم على مستوى الدول . . . !

وأعود وأقول : ان الميدان لا ينبغي أن يترك للشيطان وحده . . . ولا بد لانصار الحق والحرية من أن يتحركوا ، ولا بد لهم من قوة ! وتديها قتل العرب لايفل الحديد الا الحديد . . . ! ان ان الانبياء جميعا ، جاءوا بالسلام والحب والحق والعدل ، فماذا حدث لهم من أعداء هذه القيم ؟ نشرت الأهرام (ص ١٥ — عدد ٧ — ١ — ١٩٧٤) — (بمناسبة عيد الميلاد المجيد) كلمة للقس الياس مقل ، وكيل الطائفة الانجيلية ، تحت عنوان : « المسيح بين السيف والسلام » . . . ومما جاء فيها « . . . ومن الغريب أن ميلاد المسيح قد أثار قضية السلام والسيف معا ، بصورة لم يعرف التاريخ البشرى لها مثيلا . فقد سار بيتقا ينادى بالسلام ، أينما ذهب ، ورفض استخدام السيف ، وهو يقول للبطرس : « رد سيفك الى غمدته ، لأن الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف — أيضا — يؤخذون » . ومع هذا كله فقد كان هذا السلام بعينه هو السبب الذى جعل سيف الشر يتحرك ، الى الدرجة التى قال معها مرة : « لم آت

(٥) انظر على سبيل المثال « رسالة واشنطن — حمدي نواد » بعنوان « أمريكا وقمة الكويت — ستار العداء الظاهرى مزال يخفى شبكة العلاقات: جمع سوريا وليبيا وايران » (ص ٥ أهرام ١٩٨٧/١/٢٧) .

لألقى سلاماً على الأرض ، بل سيفنا » . أ . هـ . وأضيفت : أنه عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، مالت الجزيرة العربية على المسلمين ميلاً كادت تذهب بهم ، حاصرت المدينة جموع من المرتدين وما نعى الزكاة ، وعلوهم — من داخل المدينة — فلول من المنافقين . ولولا السيف ، الذى رفعته القلة من المؤمنين ضد المرتدين وما نعى الزكاة لانتهى الاسلام — أركاد — وهم فى المهد مازل . « والله متم نوره ولو كره الكافرون » . (٨ الصف) من هنا كان التحريض على القتال فى سبيل الله ، فى سبيل الحربة والحق والعدل (التى هى بعض ثمرات عقيدة التوحيد) ، وكان الوعد بحسب الجزاء عليه نى الدنيا والآخرة : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال . . » (٦٥ — الانفال) ، « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الانفسك ، وحرض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً » (٨٤ — النساء) . والآيات الكريمة ، والأحاديث الثرية فى فضل الجهاد أكثر من أن تحصر (٦) .

المبحث التاسع

آيات فى القتال (١)

وآراء الفقهاء القدامى فيها

عرض وتعليق ورد

١٦ — الآيات من ١٩٠ — الى ١٩٤ — البقرة :

يقول تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان

(٦) انظر — سابقاً — بتود ٣ ، ٤ و ٥ و ٦ وانظر — أيضاً — وعلى سبيل المثال : كتاب الجهاد فى رياض الصالحين للنووى . والآيات الكريمة ١٠ — الى ١٣ — نصف ، والآيات ١٩ — الى ٢٢ التوبة .

(١) الجهاد (ومن صورة القتال ، والتضحية بالروح والمال ، وبكل عزيز وتفيس) — كان ويكون ، ولا يكون الا فى سبيل الله : تحرير العقيدة من كل شرك ، والنفس من كل رجس ، والانسان ، كل انسان ، من الجوع والخوف : ان الربوبية لله وحده ، ومع هذه العقيدة يكون كل الناس أحراراً ، ومتساوين فى الحرية وفى الحق فى حياة كريمة ، يسودها الأمن ، وحبها رغد العيش . ورغم سوء احوال المسلمين فى بلادهم فان الناس — فى أوروبا =

الله لا يحب المعتدين (١٩٠) واقتلوهم حيث ثقتهموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقبلوهم عند المسجد الحرام حتى يغسلوكم فيه ، فان قتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . (١٩١) . « فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٩٢) . وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين (١٩٣) . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين (١٩٤) . (الآية ١٩٠ وكذلك الآية ١٩١ سبق الكلام فنهيا في المبحثين السادس والسابع والكلام مستأنف هنا في الآية ١٩٢ وآيات أخرى ستأتي) :

وعن الآية ١٩٢ — البقرة « فلان انتهوا فان الله غفور رحيم » — جاء في القرطبي : « ان انتهوا عن قتالكم بالإيمان فان الله يغفر لهم جميع ما تقدم . نظيره قوله تعالى : « قل للذين كفروا أن يقتلوا يغفر لهم ما قد سلف » وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » (٣٨ — الأنفال) . والآية ١٩٣ — البقرة (وقد سبق ذكرها) ونظيرتها الآية ٣٩ الأنفال ، وهي : « وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير » (٤٠ من تفسير السورة) وقبل الآيتين ٣٨ و ٣٩ الأنفال نجد الآيتين ٣٦ و ٣٧ من نفس السورة وهما :

« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . فسيبغثوئها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون . لبيد الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم ، أولئك هم الخاسرون » وفي الحديث الشريف (مما يتصل بما جاء في الآية ١٩٢ البقرة و ٣٨ الأنفال) قوله (ص) : (من حديث طويل رواه مسلم) « . . اما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم

وأمرها وغيرها — يدخلون في الاسلام أفواجا . انه دين الحرية والمساواة ، وهو — الى ذلك — دين السمو والطهارة في الظاهر والباطن . وسببها الله له من المدعاة والأحرار ، وفي كل مكان وزمان ، من يحملون رأيه ، وينشرون دعوته ويتحملون في سبيله ، وعن طيب خاطر ، كل تضحية .

ما كان قبلها وأن الحج بهدم ما كان قبله . . » (مثل اليه في القرطبي ج ١٧ ص ٤٠٢) . وعن قوله تعالى : « وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » . أى وان يعودوا الى القتال فسيقتل بهم ما وقع بالأمم من قبلهم من عذاب الله . وعن الآية ١٩٣ البقرة ، ونظرنا ٣٩ الانفال (٢) : جاء في ابن كثير (المجلد الأول ص ٣٢٩) : أمر الله تعالى بقتل الكفار : « حتى لا تكون فتنة » . أى شرك « ويكون الدين لله » أى يكون دين الله هو الظاهر (٣) على سائر الأديان كما نبت في الصحيحين عن أبى موسى الأشعري : قال : سئل النبي (ص) عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أى ذلك في سبيل الله ، فقتل : من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . وعن الصحيحين : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله . فان قتلوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحصلهم على الله » . فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » يقول : فان انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتل المؤمنين ، فكفوا عنهم (وانظر في : « أمرت أن أقاتل . . انخ : البندين ٢٩ و ٣١ والهوامش) وجاء في القرطبي (ج ٢ ص ٣٥٣) عن نفس الآية « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . . » أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع ، على من رآها ناسخة ، ومن رآها غيرنا ناسخة قال : المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم : « فان قاتلوكم » والأول أظهر . وهو أمر بقتال مطلق لا يشترط أن يبدأ الكفار . وعن قوله تعالى : فمن « اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (الآية ١٩٤) ونظيره « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به » (النحل — ١٢٦) قالوا هذا عموم متفق عليه ، وهو في

(٢) قال ابن تيمية : « . . كل من بلغته دعوة رسول الله (ص) الى دين الله الذي بعثه به ، فلم يستجب له ، فانه يجب قتاله » حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، (٣٩ — الانفال) وهذا (والكلام لابن تيمية) هو جهاد الكفار ابعاد الله ورسوله . (والسياسة الشرعية — تحقيق انبشار وآخر الطبعة الثانية ص ١٢٦) ومنه يتبين أن ابن تيمية يتفق في هذا مع الفقه السائد لدى الفقهاء القدماء : (وانظر ما سيأتى عن مناقشة أقوال ابن تيمية المرحوم الشيخ عبد الوهاب خالف — بند ٣٢) .

(٣) ظاهر من العبارة أن الأديان متعددة ، ولكن « الاسلام » هو الظاهر على سائرهما .

الاشياء كلها ، وذلك اما بالمباشرة ان امكن ، واما بالحكام : وعقدوا هذا بان النبي (ص) حبس القصعة المكسورة في بيت التي كسرتها ، ودفع الصحيحة وقال : « ائنا ببناء وطعام بطعام » . وفي ابن كثير عن نفس الآية « فمن اعتدى . . » ! امر بالعدل حتى في المشركين ، كما قال : « وان عاقبتهم فعاقبوا . . » (١٢٦ النحل) ، وقال : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (٤٠ الشورى) وروى على بن ابي طلحة عن ابن عباس أن قوله : « فمن اعتدى . . » نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ، ثم نسخ بآية الجهاد بالمدينة . وقد رد هذا ابن حريز وقال : بل الآية مدنية ، بعد عمرة القضية وعزا ذلك الى مجاهد (٥) .

وانتقل الى الآيتين ٣٦ و ٣٧ من الأنفال (وقد سبق ذكرهما) — مشيرا الى ما كان يحيط بالمسلمين من عناد المشركين . كان عنادا شرسا . لم يدع وسيلة يرى فيها القضاء على الاسلام والمسلمين الا اتخذها ، ومن ذلك أنهم كانوا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله . وقد وعد الله ، ووعدده الحق — بأنهم سيفتقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون . أقول ان انفاق الاموال للصد عن سبيل الله ، وسيلة من الوسائل التي مارسوها امتنته الناس وصرفهم عن الدين الجديد . . ولم يكن بد من النصدي لهؤلاء من حزب الشيطان ، وهذا ما أخذته على عاقبتها الفئة القليلة التي غلبت بالهمة الكثرة باذن الله . ونصر الله المؤمنين ، وأظهر دينه على الذين كله . وأعز جنده ، وأعز الاسلام بهذه الطلائع الأولى ، التي اختارت الموت في سبيل الله ، فوهبها الله ، ووهب الاسلام والمسلمين ، الحياة . أقول مرة

(٤ و ٥) أقول : أي في القتال والجنايات وغيرها . . . وأقول : « مع التسليم بأنها عليه » فيمكن أن يضلف : « وفي القتال خاصة » فالآيات التي قبلها والآية التي بعدها في القتال ، ثم ان النهي عن « الاعتداء » « وباللفظ » مكررى الآيات ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ ، والسياق كله ، في كل هذه الآيات يمضى بذات المعنى : ومن ذلك : « ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلكم فيه ، فان قاتلكم فاقتلوهم » ومنه « فان انتهوا فان الله غفور رحيم » (الآية ١٩٢) ، « فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (١٩٣) ، أي فان انتهوا عن الكفر بالاسلام ، أو : فان انتهوا عن القتال ، وجنحوا للإسلام ماجنحوا لها ، متوكلين على الله . ونفس هذا السياق نجده في الآية ١٩٤ . « الشهر الحرام يلبث شهر الحرام والحرمات قصاص » . . .

أخرى : ففى هذه الآيات من سورتي البقرة والأنفال ، تكرر لفظ « الفتنة »
الذى فسرہ فقہاؤنا القدامی « بالشرك » . قال البخاری (والقتل عن تفسیر
ابن كثير للآية ١٩٤ البقرة) : قوله : « وقتلواهم حتى لا تكون فتنة » حدثنا
محمد بن بشار عن . . . (٦) عن ابن عمر قال : أتاه رجلان فى
فتنة (٧) ابن الزبير فقالا : ان الناس (٨) صنعوا ، وأنت ابن عمر وصاحب
النبي (ص) فما يمنعك أن تخرج . قال : يمنعني أن الله حرم دم أخى قالا :
الم يقتل الله « وقتلواهم حتى لا تكون فتنة » قال : قاتلنا حتى لم يكن
فتنة وكان الدين لله . وأنتم تريدون أن تقتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين
لغير الله . زاد عثمان بن صالح عن . . . عن نافع : أن رجلا أتى ابن عمر
فقال : . . ما حملك على أن تحج عاما وتعتز عاما ، وتترك الجهاد فى
سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ فقال يا ابن أخى ، بنى الاسلام على
خمس . . (وذكر الحديث) . قال الرجل لابن عمر : ألا تسمع ما ذكر الله
فى كتابه : « وان طائفتان من المؤمنين اختلفتا . . الآية » (٩ — الحجرات)
« وقتلواهم حتى لا تكون فتنة » قال : فعلنا على عهد النبي (ص) وكان الاسلام
قليلًا ، وكان الرجل يفتن فى دينه : إما قتلوه أو عذّبوه حتى كثر الاسلام
فلم تكن فتنة الى آخر الحديث .

وهذا الأثر الذى رواه البخارى عن ابن عمر واضح فى ان المراد بالفتنة
ما كان يتعرض له المسلمون ، وهم قليلون ، من فتنة الرجل منهم فى دينه
بقتله أو تعذيبه ، لما كثر الاسلام كان الدين لله ولم تكن فتنة . وفى الأثر
— قول ابن عمر — قاتلنا حتى لم تكن فتنة بالمعنى المتقدم ، وكان الدين لله ،
أى صار الاسلام هو الظاهر ، هو العزيز الغالب وليس معناه حتى لم يكن
شرك . (وانظر فى الشرك والكفر — الملحق الثانى) .

(٦) ابن عمر : عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠ ق هـ — ٧٣ هـ =
٦١٣ — ٦٩٢ م) آخر من توفى بمكة من الصحابة : له فى كتب الحديث
٢٦٣ حديثًا . (الأعلام للزركلى — مجلد ٤ ص ١٠٨) .
(٧) ابن الزبير — عبد الله بن الزبير بن العوام (١ — ٧٣ هـ = ٦٢٢
٦٩٤ م) . بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ . وكانت له مع الأمويين وقائع
هائلة انتهت بمقتله بمكة (المرجع السابق مجلد ٤ ص ٨٧ .
(٨) أى صنعوا ما ترى من الاختلاف .

١٧ - آيات أخرى من سورة البقرة : يقول الله تعالى : « كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (١٢٦) . جاء فى تفسير القرطبي (ج ٣ ص ٨) : كُتِبَ = فُرض (١) . وهذا هو فرض الجهاد . والمراد بالقتال قتال الأعداء من الكفار . فبعد هجرة النبى (ص) الى المدينة ، اذن له فى قتال من يقتلنه من المشركين ثم اذن له فى قتال المشركين عامة . انشد أبو سعيد الضرير فى معنى قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا » .

رب أمر نتقيسه جر أمرا ترتضيه
خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

وكراهية القتال ليست فى حلجة الى شرح (٢) ، ولكن ، - وكما قال أبو عبيدة ونقله عنه القرطبي : « عسى » من الله ايجاب . والمعنى عسى أن تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة ، وهو خير لكم فى أنكم تظفرون وتفغفرون وتؤجرون ، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى أنكم تذلون ويذهب أمركم . يقول القرطبي : وهذا صحيح ، كما اتفق فى بلاد الأندلس : تركوا الجهاد ، وجبنوا عن القتال ، واكثروا من الفرار : فاستولى العدو على البلاد ، وأى بلاد ؟ ! .. ذلك (والكلام للقرطبي) - بما قدمت أدينا ، اقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ، وأذكر بقوله تعالى « ذلك بما قدمت أيدىكم ، وإن الله ليس بظلام للعنيد » (١٨٢ - آل عمران : وانظر - أيضا - ٥١ الأنفال ، - ١٠ - الحج ، ٤٦ فصلت ، ٢٩ ق ١) .

(١) فى تفسير ابن كثير للآية : هذا ايجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين ، أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الاسلام . . .
(٢) أقول ، وخلاصة فى عصور لم تقف فيها شرور الحرب عند المحاربين وإنما امتدت الى المدنيين وفى هذه الايام : (أواخر ابريل ١٩٨٦) - انفجر مفاعل تشيرنوبيل النووى بالاتحاد السوفيتى وحملت الرياح والسحب التلوث النووى الى مسافات بعيدة ، وفى اتجاهات مختلفة ، بلغت اليابان شرقا ، ودول أوروبا الغربية غربا ، وهذا التلوث يؤثر على النبات والاشجار والحيوان ، وبالتالي على الثمار ومنتجات الحيوان (كاللبن) ، بل انه يؤثر على الأجنة فى بطون الأمهات . وقد نشرت وسائل الاعلام أن أثر هذا التلوث قد يستمر الى سنين كثيرة آنية . . . أن العالم (يبدو صغيرا) ، وسيصير أصغر فأصغر فى تأثر بعضه ببعض ، وأقصاه بأفناه ! وخاصة نى عصر « الرعب النووى » .

البحث العاشر الاخراج من الديار

١٨ — فى هذه الآية الكريمة (٢١٧ من سورة البقرة) — يقول الله تعالى : « والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل .. » . وفى سورة الحج يقول الله تعالى : « اذن للذين يقاتلون (١) بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع اليه الناس ، مضهم ببعض لهدمت صوامع .. الى آخر الآية » (٣٩ و ٤٠) . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ، فيها ذكر الاخراج من الديار ، ذلكم الاخراج الذى لم تتعفف قريش عن اللجوء اليه ضد المسلمين ، كوسيلة من وسائل التعذيب والفتنة فى الدين . وما فعلته قريش مع الرسول وصحبه ، عليهم الصلاة والسلام ، من الأبعاد أو التهديد به فعلته أقوام أخرى ضد الأنبياء الذين أرسلهم الله اليهم .. ومن ذلك قوله تعالى فى سورة ابراهيم « وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجكم من أرضنا أو لنعودن فى ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلك الظالمين . ولنسكنكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى ، وخاف وعيد » (١٣ و ١٤) .. وفى الآيتين ٨ و ٩ من المتخبة بيان قوى بمفادحه هذا الاخراج وخطورة النتائج التى تترتب عليه : يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . لقد عذب المسلمون فى مكة ، من ذويهم وعذب بعضهم حتى الموت ، ولم يكن لهم من جرم أو ذنب ، الا أن قتلوا : ربنا الله .. ! تقول الآية ٣٩ من سورة الحج انهم قاتلوا وظلموا .. وكان الظلم الذى وقع عليهم مما لا يحتله الا أولو العزم . تحالف قومه ضدهم ، وحاصروهم فى الشعب ثلاث سنين مددا ، حتى اضطروا الى أكل حشائش الأرض .. ! ولما تجود جبال مكة بهذه الحشائش .. ! انها وجباها ووديتها غير ذات زرع .. ! وفى أعقاب هذا الحصار ماتت خديجة وأبو

(١) و (٢) و (٣) الثلاث مبينة للمجهول .

طالب : ولا أظنها الا قد تأثرا نفسيا وبدنيا بهذا الحصار ، وبذلك السنين
انشداد . . ! ولقد فر بعض المؤمنين بخينهم من ديارهم الى الحبشة ، وكان
النجاشي وقومه كريمين معهم . ومع ذلك ، وبالرغم منه ، عانوا ما يعاناه
كل « غرب » ، كل بعيد عن أرضه وماله وأهله (٤) . . ! وخاصة في ذلكم
الزمن البعيد ، حيث لم تكن وسائل الانتقال والاتصال ميسرة كما هي اليوم ،
وحيث كانت النظرة الى الغرباء لا تختلف كثيرا عن النظرة الى الأرواء !

ولما اضطرت قريش رسولنا انكريم الى الهجرة من مكة الى يثرب ،
وكانت قد تأمرت ليلة الهجرة على قتله ، بطريقة ابليسية تنتهي بتفريق دمها
بين القبائل . . ! يومئذ نظر الانسان العظيم ، ذو القلب الكبير ، الى مكة ،
وهويهم بمفادرتها ، وعيناه الكريمتان مغرورتان بالدموع — نظر اليها (٥) ،
وهو يقول : والله انك لأحب أرض الله الى قلبي ، ولولا أن تؤمك أخرجوني
ما تركتك . . ! (او كما قال) . ان الطيور ليرتبط بأعشاشها ، وتحن انى
أوكارها . وأظنه أمير الشعراء أحمد شوقي هو الذي قال : وقد عانى من
عذاب النفى خلال الحرب العالمية الاولى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى !
لا عذاب كعذاب (٦) النفى . . : ومن هنا حرمة الدسائير . .

(٤) ومن هنا كان « ابن السبيل » أحد من يصرف عليهم من الصدقات
(انظر : الآية ٦٠ التوبة) .

(٥) انظر — على سبيل المثال — ٤٠ براءة و ١٣ محمد .

(٦) كثير من الذين يفتربون (ولو بلادتهم سعيا وراء مزيد من الرزق
أو طلبا للعلم أو غير ذلك) يصابون بأمراض معيقة ، سببها الفرية ، وهى
أمراض نفسية ، قد تتحول الى أمراض جسمية . لقد ماتت رقية بنت الرسول
وأبوها فى موقعة بدر الكبرى ، وكانت قد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان
الهجرتين الاولى والثانية الى الحبشة ، ثم معه الى المدينة . لقد ارهقتها
هذه الهجرات ، فلم تتحملها نفسها ولا جسمها ، وجادت بأنفسها الأخيرة مع
عودة أبيها والمسلمين بفصر بدر ، أول نصر وأشهر نصر فى حياة الرسول
عليه الصلاة والسلام !

(وانظر : الأعلام للزركلى مادة (رقية — ج ٣ ص ٣١) هذا ، وقد مضى
الآن نحو عام على انتفاضة الفلسطينيين ضد الصهاينة المحتلين لأرضهم .
وقد استخدمت اسرائيل العنصرية ككل الوسائل لأخماد الانتفاضة ، ومنها
إخراج أعداد من الشبيل الفلسطينيين وإبعاده عن أرضه .

على مدى ثلاثة عشر- عليها ، قضاها الرسول والمسلمون بمكة — بهذا البعثة وحتى الهجرة لم يجدوا من وجوه قريش وعامتها الا الفتنة والاذى والصدا . وذات يوم ذهب عليه الصلاة والسلام بدعوته الى ثقيف ، فلم يكتفوا بالانصراف عنه ، وانما سلطوا عليه الصغار والسفهاء ، فحصبوه وآذوه ! ويومها ، اتجه الى الله بالدعاء : ان لم يكن بك على سخط فلا ابالي . بعد الهجرة ، وفى يثرب ، اذن لهؤلاء الذين — قتلوا وظلموا — بالقتال ! وتند قاتلوا ، وقتل منهم . . . وكان النصر عاقبة أمرهم . لقد انتصروا ، لا لانفسهم فحسب ، ولكن للناس كافة ، فى كل زمان ومكان . لقد عانوا من « الفتنة » فجاهدوا حتى لا تكون فتنة . . . ! وقد كلبوا من الاستبداد والاستغلال والاستعلاء ، فقتلوا بانفسهم واموالهم ، لتكون كلمة الله هى العليا ! وحتى لا يكون استبداد ولا استغلال ولا استعلاء لقد قاتلوا من أجل الحرية عامة ، وحرية العقيدة خاصة . لقد عذبوا طويلا بسبب دينهم ، غصخوا بالنفس والنفيس حتى لا يكون اكراه فى الدين . . !

المبحث الحادى عشر

آيات اخرى من سورة الأنعام — الاسراء — الفتح — التوبة — التحريم

١٩ — النفس المحرمة (١٥١ الانعام ونظيرتها ٣٣ الاسراء) يقول الله تعالى فى سورة الأنعام (الآية ١٥١) « . . . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » (١) . . . ويقول القرطبى : هذه الآية نهى عن قتل النفس المحرمة ، مؤمنة كانت أو معاهدة الا بالحق الذى يوجب قتلها . قال (ص) : « أمرت ان اتأتاك الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » فمن قال لا اله الا الله فقد عصم ماله ونفسه الا يحقه وحسبهم على الله . . وهذا الحق (والكلام للقرطبى) أمور : منها متبع الزكاة وترك الصلاة . وقد قاتل الصديق مانعى الزكاة . وفى التنزيل : فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم . وهذا بين . . الى آخره . أقول : هذا نموذج للمفسرين القدامى . وهو يرى أن النفس اذا لم تكن مسلمة ولا معاهدة فهى غير محرمة (١) . وعن نفس

(١) وفى تفسير الآية ٩٤ من سورة النساء ، يقول القرطبى : « والمسلم اذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله ، فان قال : لا اله الا الله لم يجز قتله » (نفسه ج ٥ ص ٣٣٨) .

الآية يقول (٢) المرحوم الشيخ محمود شلتوت (وهو نموذج للعالم في الفكر المعاصر) يقول : تحت عنوان « الكفر وحده لا يبيح الدم » : « ويرى بعض (٣) العلماء أن معنى تحريم الله للنفس عصيته أيها بالاسلام أو العهد . ومعنى هذا أن الأصل في النفس أنها غير محرمة ، وإنما تحرم بالاسلام أو العهد . واذن تكون النفس الباقية على كفرها التي لم تعاهد (أى لم تستأمن) مباحة بحل ثقلها » ثم يضيف : « وهذه مسألة تستدعى النظر : هل الكفر بمجرد يبيح الدم ؟ أم أن المباح للدم هو المخالفة والمقاتلة ؟ والذين (٤) حققوا النظر في هذه المسألة خرجوا من بحثها بأن الكفر وحده ليس مبيحا للدم ، وإنما يبيحه الاعتداء « الى آخره » .

♦ ٢ - والآية ١٦ - الفتح : - « .. تقتلونهم أو يسلمون ... »

(هذه الآية مدنية باجماع ، ونزلت ليلا بين مكة والمدينة في شمس الحديبية) (القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩) . يقول الله تعالى : « قل للمخلفين من الاعراب استدعون الى قوم أولى بأمن شديد تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ، وإن تقولوا كما توليتم من قبل فهذا غدا » أيها « وفي تفسير القرطبي : قل لهؤلاء الذين نحلوا عن الحديبية « استدعون الى قوم ... » وقد اختلف في المراد بالقوم أولى بأمن شديد ، على أقوال كثيرة . قل بعضهم : هم فارس ، وقال البعض : بل الروم . وقال آخرون بل فارس والروم . وقال جبير : هوازن وثقيف .. الى آخره . وفي تفسير ابن كثير للآية ١ المجلد السابع ص ٣٢٠ وما بعدها (قال ابن أبي حاتم : حدثنا الأئمة ، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن القواريري ، عن معمر بن الزهري في قوله : « استدعون الى قوم أولى بأمن شديد » قال : « لم يأت أولئك بعد » ، « تقتلونهم أو يسلمون » . يقول القرطبي في تفسيره : هذا حكم من لا تؤخذ منهم الجزية ، وهو معطوف على « تقتلونهم » أي يكون أحد أمرين ، إما المقاتلة وإما الاسلام ، لا ثالث لهما . وهذا في قتال المشركين لا في أهل الكتاب . هذا ، والمعروف أن الرسول (عليه الصلاة والسلام)

(٢) تفسير الإجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم طبعة رابعة ص ٤٢٦ وما بعدها .

(٣ و ٤) لم يشر - رحمه الله - الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

قد أخذ الجزية من المجوس . وهم لا يعدون من أهل الكتاب ، كما أن من الفقهاء من قل بأنخذ الجزية من الوثنيين (١) ، بل ومن وثغبي العرب ، قريما على المجوس ، بل ومن بلب الأولى . وفي تفسير الحافظين كثير لقوله تعالى : « تغاللونهم أو يسلمون » يعني يشرع لكم جهادهم وقتالهم ، فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ، ولكم النصرة عليهم ، « أو يسلمون » فيدخلون في دينكم بلا قتال ، بل باختيار . وهذا التفسير لابن كثير ، يتفق مع قوله تعالى : « لا اكراه في الدين » والآيات الكثيرة التي جاءت بذات المعنى ، والتي قال عنها عامة الفقهاء التداوى بأنها نسخت بآية السيف .

٣١ — في جهاد المنافقين (الآية ٧٣ التوبة و ٩ التحريم) في تفسير ابن كثير للآية — ٥ من سورة التوبة (المعروفة بآية السيف) : قال ابن أبي حاتم (عن أبيه) عن أسحاق الأنصاري ، عن سمعان ، قال على بن أبي طالب (رض) : بعث النبي (ص) بأربعة أسياف : سيف على المشركين من العرب ، قال الله تعالى : « فاعتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . (٥ — التوبة) — وأظن (والكلام للراوي) أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب (الآية ٢٩ — التوبة) ، والسيف الثالث قتال المنافقين « يا أيها النبي جهاد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » (٧٣ التوبة و ٩ التحريم) ، والسيف الرابع قتال الباغين في قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فمأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله . » (٩ الحجرات) . وقد خصص الماوردي الباب الرابع من كتابه « الأحكام السلطانية » (نفسه ص ٣٥ وما بعدها) لموضوع : « في تقليد الإمارة على الجهاد » وقال : والإمارة على الجهاد مختصة بقتال (١) المشركين . أما الباب الخامس فقد جعل عنوانه « في الولاية على

(١) انظر — على سبيل المثال — زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٢٢٣ ، وانظر للمؤلف « غير المسلمين في الدولة الإسلامية » طبعة أولى بند ٢٨ . وانظر ما سيأتي في المبحث الخامس عشر المعنون « رد على الرأي السائد في الفقه القديم » وانظر كذلك القرطبي في تفسير الآية ٢٩ — التوبة — وفيه : الاوزاعي : تؤخذ الجزية من كل عليل وثن أو نار أو جاحد أو مكذب . وكذلك مذهب مالك ، فإنه رأى أن الجزية تؤخذ من كل أجناس الشرك واليهود ، عريبا أم أعجميا ، تغلبيا أو قرشيا كان من كل الأمرتد .
(١) في كلامه عن « واجبلت الأمام » (وظائف الدولة في الإسلام)

حروب المصالح» . (ص ٥٥ وما بعدها) وبدأ هذا الباب بقوله : وما عدا جهاد المشركين من قتال ينقسم ثلاثة أقسام : قتال أهل الردة ، وقتال أهل البغى ، وقتال المحاربين وقطاع الطرق (٢) . • ومما جاء فى كلامه عن قتال أهل الردة قوله : « وإذا امتنع قوم عن أداء الزكاة الى الامام العادل (٣) جحدوا لها ، كلوا بالجهود مرتدين يجرى عليهم حكم أهل الردة ، وإذا امتنعوا عن أدائها مع الاعتراف بوجوبها كلوا من بغاة المسلمين الى آخره . (نفسه ص ٥٧) .

والخلاف — حول من توجه اليهم الاسياف — واضح بين ما نقلته عن ابن كثير وما نقلته عن المناوردي . ولنقف هنا قليلا عندما يتعلق بالمنافقين . • وقد ورد قوله تعالى : « يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » وما وأهم جهنم وبئس المصير » مرتين فى الكتاب الكريم ، فى الآية ٧٣ التوبة و ٩ التحريم . وفى تفسير ابن كثير للآية (٧٣) التوبة — قال — بعد أن أورد ما سبق ذكره رواية عن الامام على (رض) — (وهذا يقتضى أنهم (أى المنافقين) يجاهدون بالسيف إذا اظهروا التناقى ، وهذا اختيار ابن جرير . • وقال ابن مسعود فى نفس الآية : يجاهدكم بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، فان لم يستطع فليكنه فى وجهه . وقتل ابن عباس : أمره الله تعالى ، بجهد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وذهب الرافض

قال : « . . . جهاد بن عبد الاسلام — بعد الدعوة — حتى يسلم أو يدخل فى الذمة . . . » (نفسه من لاداء) وانظر ص ٢٧ .
(٢) هم الذين نزل فيهم قوله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . . . » (الآية — ٣٣ المائدة) .
(٣) لاحظ قوله « الامام العادل » ، فاذا كان الامام « غير عادل » (أى جائرا) فانظر فى الأمر يختلف . فاذا كان هذا هو حاكم الأمة (أو غالبيتها) عليه ملامتة عن أداء الزكاة اليه انما هو صورة من صور « العصيان المدنى » ، واثى أجيزه ضد الحكام المستبدين (انظر تفاصيل) أكثر فى كتابى : « الاسلام والدولة » وانظر كذلك ميثاق الدفاع عن الديمقراطية الذى صاغته ثورة ابريل ١٩٨٥ بالسودان — الملحق الأول — لكتابى « غزوات الرسول وسواياه » ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .

عنهم . وقال الضحلاء : جياهد الكفار بالسيف ، واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم . وعن مقاتل والربيع مثله . وقال الحسن وقتاده : مجاهدتهم اقلية الحدود عليهم (٤) . وقد يشل — والكلام لابن كثير — انه لا منافاة بين هذه الاقوال : لانه تارة يؤاخذهم بهذا ، وتارة بهذا بحسب الاحوال (٥) .

والتمسيرات المتقدمة لجهاد المنافقين تعيد الى الذهن ما سبق ذكره من أن الجهاد كما قد يكون بالسيف ، يكون بليد والحد والتعزير والمال واللسان والقتل وعنا اذكر المتشددين ، مما جاء في السيرة الشريفة عن موقفه الرسول من المنافقين ، وكيف أن أشير — كمثال — الى موقفه عليه الصلاة والسلام من رأس النخاع والمنافقين عبيد الله بن أبي بن سلول ، وبما كان منه على سبيل المثال — عند عودة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه من غزوة بني المصطلق وقد خرج فيها معهم بشر كثير من المنافقين . وقد حدث أن تفلح (ججهج) (أجبر لعمري) وأنصارى ونصرع لهما المهاجرون والأنصار . ولراد ابن أبي أن يشغلها فتنة ، وقال (ما جاء على لسانه في القرآن الكريم) : «لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل» (٨ — المنافقون) (٦) ، وقد أشار عمر على الرسول بقتل ابن أبي ، فقال (ص) : كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان مجيذا يقتل أصحابه ؟ والقاعدة هي الأخذ بالظاهر ، أما ما في المطلوب فلا يعلمه الا الله .

المبحث الثاني عشر

مع آيات من سورة براءة ومحمد والمحنة

٢٢ — «براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، مسيحوا في الارض اربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخرئ الكافرين . واذن من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله برىء

(٤) وانظر — على سبيل المثال — تفسير القرطبي للآية ٧٣ النبوة ، وهو مقارب لما جاء في تفسير ابن كثير . هذا ، والخطاب في الآية الكريمة للنبى (ص) ، وتدخل فيه أمتة من بعده .

(٥) وانظر الملحق الثاني — من هذا الكتاب .

(٦) انظر التفاصيل في «الاسلام وحقوق الانسان» للمؤلف ، طبعة

٢٨٨ ص وما بعده .

(٤ — حقوق الانسان)

من المشركين ورسوله : فإن تيتّم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله ، وببشر الذين كفر بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتوها اليهم عهدهم انى مدتهم ان الله يحب المتقين (الآيات من ١ — الى — ٤) « فإذا انسלخ الاشرار الحرم ، فاعملوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد ، فإن نابوا واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » (٥) « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلفه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦) . كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعذد رسوله ، الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين (٧) . كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا و زمة يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون (٨) . » . اشرقوا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون (٩) لا يرقبون فى مؤمن الا ولا زمة ، وأولئك هم المعتدون (١٠) . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات ليقوم يعلمون (١١) . وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا أمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) . الا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ، وهموا بلخراج الرسول ، وهم بدء وكم أول مرة ، أنخسوناهم ، قاله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين (١٣) . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ويتصركم عليهم ويشنف صدور قوم مؤمنين (١٤) . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم (١٥) . أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خير بما تعملون (١٦) » (الآيات من ١ — الى — ١٦) وبعد آيات فى عمارة مساجد الله ، وأنها للمؤمنين ، وليس للمشركين وبعد آيات فى الترغيب فى الجهاد فى سبيل الله ، والترهيب من اتخاذا الآباء والاخوان أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ثم بعد آيات فى يوم حنين (الآيات من ١٧ — الى ٢٧) — قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد علمهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ، ان الله عليم حكيم . قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

«صاغرون» . (٢٨ و ٢٩ التوبة) وبعد آيات فى اليهود « الذين تباؤوا » عزير بن الله ، وفى النصارى « الذين قلوا : المسيح بن الله » واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم « (٣٠ و ٣١) » يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم توره . . (٣٢) « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . . (٣٣) » وبعد قوله تعالى ان « كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . . » وبعد وعيد شديد للذين « يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » (٣٤ و ٣٥) قال فى الآية (٣٦ و ٣٧) « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، فلا تظلموا فيها أنفسكم ، وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا ان الله مع المتقين » (الآية ٣٦) . فى تفسير المنار (ج ١ ص ١٦٥ وما بعدها طبعة أولى — ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م) « عن الآية — ٥ — التوبة : « هذه هى الآية التى يسمونها آية السيف . واعتمد بعضهم أن آية السيف هى قوله تعالى : « وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٣٦ من نفس السورة) . ويقال بعضهم : انها تطلق على كل منهما أو على كليهما . ويكثر فى كلام الذين كثروا الآيات المنسوخة أن آية كذا وآية كذا من آيات العفو والصفح والاعراض عن المشركين والجاهلين ، وآيات المسالمة وحسن المعاملة ، منسوخة بآية السيف . والصواب أن ما ذكره من هذا القبيل نبس من النسخ الأصولى فى شيء . . الى آخره) هذا وقد جاء فى ابن كثير (١) عن « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (أى من الأرض) . وهذا علم والمشهور تخصيصه بتحريم القتال فى الحرم : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم » (١٩١ البقرة) وقوله : « وخذوهم » أى : وأسروهم ، ان شئتم قتلوا وان شئتم أسرا . وقوله : « واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصدا » أى لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم ، بل اقصدوهم بالحصار فى معاقبتهم وحسوتهم . والرصد فى طرقهم ومسالكتهم حتى تضيقوا عليهم الواسع ، وتضطروهم الى القتل أو الاسلام ، ولهذا قال : « فان تابوا . الى آخر الآية » . وهذه الآية الكريمة هى آية السيف ،

التي تال فيها الضحك بن مزاحم (٢) : انها نسخت كل عهد بين النبي (ص) وبين أحد من المشركين ، وكل مدة وعن ابن عباس في الآية قل : أمر الله نبيه أن يضع السيف فيهن عاهد أن لم يدخلوا في الإسلام ، وتقضى ما كان سعى لهم من العهد والميثاق ، واذهب الشرط الاول . وقال ابن حاتم . . . عن سفيان ، عن علي بن أبي طالب ، قال : بعث النبي (ص) بأربعة أسياف (وقد سبق ذكره) (بند ٢١) ثم اختلف المفسرون (والنقل عن ابن كثير) في آية السيف هذه ، فقال الضحك (٣) والسدى (٤) : هي منسوخة بقوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء » (٤ — محمد) ، وقال قتادة : العكس .

وعن تفسير القرطبي (٥) (ج ٨ ص ٧٢ وما بعدها) : « غافلتوا المشركين » علم في كل مشرك ، اما خصته منه النسبة من امرأة وراغب وصبي وتكسومهم ، واعلم أن مطلق قوله : « اختلفوا المشركين » يفرض تجاوز قتلهم بأي وجه كل : الا أن الأخبار وردت بالقهى عن المثلة . . . وقوله : « حيث وجنتهم » علم في كل مؤمنسج ، وأسئنى أبو خزيمة : المسجد الحرام . ثم اختلفوا : فقال الحسن بن الفضل : نسخت هذه كل آية في القرآن فيها ذكر الأعراض والصبر على أذى الأعداء . وقال الفتح والسدى وعطاء هي منسوخة بقوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء » (٤ — محمد) . وقال مجاهد وقاتادة : بل هي ناسخة لقوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء » وآية لا تجوز في الأسرى الا القتل ، وقال ابن زيد : الايتان محكمتان وهو الصحيح لأن المن وأقتل (٦) والفداء

(٢) . . البخاري الخراساني (ت ١٠٥ هـ ، وقيل ١٠٢) في كتاب في التفسير . . الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢١٥ .
(٣) قبل نشطور نسب التي الضحك قوله : انها نسخت كل عهد . .
وهنا نسب اليه انها منسوخة . . فتأمل . .

(٤) السدى — اسماعيل بن عبد الرحمن السدى — تابعي . قال فيه ابن تغري بردي : « صاحب التفسير والمغازي والتسير » . توفي عام ١٢٨ هـ الأعلام للزركلي ج ١ ص ٣١٧ .

(٥) (أنظر : تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٢٥ وما بعدها وانظر ما سيأتى عن « الشرك والكفر — الملحق الثاني » .

(٦) بمطالبة حروب الرسول وسراياه ظهر لى أن من أمر رسول الله (ص) بقتلهم من الأسرى لم يكن مجرد أنهم أسرى ، وانما لأنهم مجرموا

لم يزلَ مَنْ حَكَمَ بِسَبِيلِ اللَّهِ (ص) فِيهِمْ مِنْ أَوْلِ جَرَبٍ جَارِبِهِمْ . « وَحَذَوْهُمْ » يدل عليه . والإخذ هو الأسر . والأسير إنما يكون للقتل أو البداء أو المن على ما يراه الإمام . ومعنى : « اجصروهم » يريد عن التصرف إلى بلادكم والدخول إليكم ، إلا أن تأذّبوا . وقوله تعالى : « واتقوا لهم كل مرقص » المرقص : الموضع الذي يربط فيه العدو . « فإن تابوا » أي من الشرك . « وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » وهذه الآية دالة على أنه لا بد أن ينضاف إلى قول القائل : « قد تبت » لإيد أن ينضاف إليه الاعمال المحققة للتوبة ، وهي هنا اقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وفى تفسير الطبري عن نفس الآية (٥ — براءة) : — (طبعة دار المعارف ج ١٤ ص ١٢٣ وما بعدها) فيه : « فإذا انقضت الأشهر الحرم » عن الذين لا عهد لهم ، أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم : أو كان عهدهم إلى أجل غير معلوم « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » — حيث لمقيمتهم من الأرض : في الحرم وغير الحرم ، في الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم . وانظر كذلك في تفسير نفس الآية (الرازي ج ٤ ص ٣٩٧ طبعة أولى) — قال : في قوله تعالى : « فاقتلوهم حيث وجدتموهم » ذلك أمر يقتلهم على الإطلاق في أي وقت وفي أي مكان .

وعن الآية ٣٦ من نفس السورة جاء في ابن كثير (نفسه : ص ٨٣ وما بعدها مجلد ٤) « وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة » أي جميعكم ، كما « يقاتلونكم » جميعهم . إلى آخره (انظر سابقا بند ١٤) . وفي القرطبي عن نفس الآية : ج ٨ ص ١٣٦ وما بعدها : « وقاتلوا المشركين كافة » ، أمر بالقتال ، محيطين بهم ومجتمعين عليهم . وكان الفرض بهذه الآية قد توجه على الأعيان ، ثم نسخ ذلك ، وجعل فرض كفاية ، قبل أين عطية : إنما معنى هذه الآية : الجحس على قتالهم والتخريب عليهم ؛ وجمع الكلمة . ثم قيدها

حرب ، أو لأنهم ارتكبوا قتل الجرب والأسير جرائم تستوجب القتل : (انظر للمؤلف « حروب الرسول وسراياه » مسلسلة ٦٨) (وانظر ماسياتي بند ٢٥ وما بعده) .

بقوله « كما يتأجلونكم كلفة » فيحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم . (انظر كذلك في تفسير نفس الآية : — الطبرى ج ٤ ص ٢٤١ وما بعدها . وبعد : فأتى مساعد الى سورة « براءة » في المبحثين ١٨ و ١٩ ، واكتفى هنا بكلمة عن الآيات الخمس الأولى ، والآية ٣٦ منها : في الآية الأولى من السورة : براءة من الله ومن رسول الله ، من المشركين الذين عقدتم معهم العهود بعدم الاعتداء ، فثكثوا ونقضوا واعتدوا عليكم ، فالغدر شيمتهم ، وعداؤهم لكم ولدينكم متأصل فيهم . والآية الثانية تعطى هؤلاء — مع ذلك — مسحة لمدة أربعة أشهر ، يسبحون فيها ويذهبون الى ما شاعوا من الأرض ، وليعلموا أنهم — أيها كانوا — غير معزى الله الذى ينصر المؤمنين ويخزي الكافرين . وفى الآية الثالثة اذان ونداء من الله **وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** ، يوم الاجتماع الكبير فى عرفه ، أن الله ورسوله بريئان من المشركين : ثم يخلصهم المولى — جل وعز — الذى لا يريد من توبة العباد الا خير العباد — « فان تبتم فهو خير لكم » ثم ينذرهم مرة أخرى : « وأن توليتهم فاعلموا أنكم غير معزى الله » ويشر الذين كفروا بعذاب اليم انه — سبحانه — مسلط عليهم من يعجزهم ويخزيهم . واذا استمروا على كفرهم فلعذاب الليم ينتظروهم . هذا — واستثنى — سبحانه وتعالى — فى الآية الرابعة هؤلاء الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم يفتصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا . هؤلاء عليكم أن تتموا « اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » . انه اذا كان الغدر أيضا الكفر ، فان الوفاء أخو الايمان . والله يصف المؤمنين بأنهم « الموفون بعهدهم اذا عاهدوا » (١٧٧ — البقرة) وبأنهم « الذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون » (٨ — المؤمنون) . انى آخره . . . والاحظ أن « الى مدتهم » فى الآية غير محددة ولا مقيدة . ثم تأتى الآية الخامسة « فاذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم . . الى آخر الآية » . والتحريض هنا على القتل والأسر والحصار منصب ، ومنصب فقط — على المشركين الناكثين للعهد . . . وليس الى غيرهم من الملتزمين بمعهدهم . وعن الآية ٣٦ من « براءة » (وقد سبق ذكرها) فالراد بقوله تعالى « . . فلا تظلموا فيهم أنفسكم . . » أى لا تظلموا فى الأشهر الحرم أنفسكم باستحلال القتال فيها .

أو بامتناعكم عنه إذا أغلر عليكم الاعداء ، وبدغوكم — فيها — بالقتال)
 « وشاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » أى كما يقاتلونكم كافة ،
 مجتہمين غير متفرقين ولا مختلفين ، قاتلوهم كافة مجتہمين مؤتلفين ،
 والله مع المؤمنين المتقين . وفى هذه السورة ، وفى الآيات السابقة
 واللاحقة ، وفى القرآن الكريم كله ، وفى السنة الشريفة ، نجد الأمر
 بالانفاال الا من يقاتلنا ، أو يفتننا فى ديننا ، أو يعتدى على دعوتنا
 ودعائنا ، أو بجمع الجموع ، ويعد العدة للعدوان عليها : فاذا كانت
 الحرب — وهى — حتى اليوم — كائنة وقائنة . فالقرآن الكريم ، والسنة
 الشريفة ، تحضرن على الجهاد (القتال فى سبيل الله) ، وفيها الوعد
 (والوعد من الله ورسوله حق) بالنصر والخير والفضل فى الدنيا والآخرة .

٢٣ — كلمة عن الآية الرابعة من سورة « محمد » (١) — يقول
 الله تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اخذنموهم
 فشددوا الوثاق ، فلما منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها ،
 فذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضهم ببعض . . . » — والمعنى
 واضح . والسورة تبدأ بقوله تعالى : « الذين كفروا وصددوا عن سبيل
 الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على
 محمد وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن
 الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ، كذلك
 يضرب الله للناس أمثالهم . فاذا لقيتم . . الى آخره » . — فالمعركة كانت
 بين اهل الكفر والباطل من جهة ، والرسول والمؤمنين من جهة أخرى .
 وقد كان الأولون عدوانيين . وكانوا — بكل ما يملكون — يصعدون عن
 سبيل الله . ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن اقتضت حكمته — جل وعز —
 أن يختبر البعض ببعض ، وأن يدفع الكافرين بالمؤمنين ، والا فسدت
 الأرض . . لقد كانت الحرب مفروضة على المسلمين . والله سبحانه
 وتعالى ، فى الآية الرابعة — يقول لهم : اذا لقيتم هؤلاء الكافرين ،
 فاضربوا واضربوا فوق الأعناق ، حتى اذا اخذنموهم ضربا وقتلا ، فشددوا

(١) جاء فى « أوضح التفاسير » انها مدنية الا الآية ١٣ فصلت
 فى الطريق أثناء الهجرة .

البوشرى . أى فخذوهم أسرى . ولكم — بعد ذلك — أن تمنوا عليهم ،
فمنكوا أسرههم ، وتطلقوهم بغير فداء ، أو فداء ، بقبائل الأسرى — مثلا
— أو بمقابل مالى ، أو بغير ذلك من صور الفداء . (وقد أطلق الرسول
(صلعم) بعض أسرى بدر مقابل قيامهم بتعليم بعض المسلمين القراءة
والكتابة . .) . وليكن هذا شأنكم — فى كل حرب — مع الكافرين حتى
تنتهى الحرب وتضع أمتلها (٢) . .

وفى القرطبى (ج ١٦ ص ٢٢٥ وما بعدها) أن العلماء قد اختلفوا
فى تفسير الآية (٤ — محمد) على خمسة أقوال :

الأول : أنها منسوخة ، وهى فى أهل الأونان لا يجوز أن ينسأدوا
ولا أن تمن عليهم والناسخ لها عندهم قوله تعالى « فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم . . » (٥ — التوبة) . وقوله : « فلما تنقضهم فى الحرب فشرد
بهم من خلفهم » (٥٧ الأنفال) ، وقوله : « وقاتلوا المشركين كافة »
(٢٦ التوبة) (قتاله قتادة والضحاك والسدى وابن جريج والعونى عن
ابن عباس ، وقائه كثير من الكوفيين . .

الثانى : أنها فى الكفار جميعا ، وهى منسوخة على قول جماعة من
العلماء وأهل النظر . (منهم قتادة ومجاهد) . . والناسخ لها (الآية —
— التوبة) اذ كانت براءة أخسر ما نزل بالتوقيف . فوجب أن يقتل كل
مشرك الا من شابه الدلالة على تركه كالفساء . . . ومن يؤخذ منه الجرية
. . . خيفة أن يعودوا (أى الأسرى) حربا للمسلمين . . .

الثالث : أنها ناسخة ، قتاله الضحاك وغيره . . روى الثورى عن
جويبر عن الضحاك (٣) . « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٥ —
التوبة) ، قل نسخها « فلما منا بعد وأما فداء » (٤ — محمد) ، وقال
ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء (٤) : « فلما منا بعد وأما فداء » فلا يقتل

(٢) انظر ما سياتى فى المبحث الثالث عشر (عن الاسلام والأسارى)
(بند ٢٥ وما بعده ، وانظر — أيضا — للمؤلف « غزوات الرسول وسراياه
(مسلسل ٦٨) .

(٣) مما يلفت النظر ادراج اسم الضحاك بين القائلين بأن الآية
منسوخة (الرأى الأول) . ومن قال أنها ناسخة (الرأى الثالث) . وتأمل .
(٤) عن عطاء وعن بعض المفسرين الأوائل . =

مُتْرَكٌ ؟ ولكنَّ يَمُنْ عَلَيْهِ وَيَقَادِرْ ، كَمَا قَتَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . قَتَلَ أَتَسْعَتِ ؟
 كَانَ الْحَسَنُ يَكْرَهُ أَنْ يَقْتُلَ الْأَسِيرَ ، وَيَقُولُ : « فَمَا مَتَا بَعْدَ وَأَمَّا فِدَاءٌ » .
 وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا : فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مُكَاتِلَةٌ قَتَلَ فَضْرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى
 تَنْضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . ثُمَّ قَالَ : « حَتَّى إِذَا اتَّخَفْتَهُمْ فَشَدُّوا الْوُثْلُقَ »
 وَقَالَ : أَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِمَامِ إِذَا حَصَلَ الْأَسِيرُ فِي يَدَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ . . . إِلَى آخِرِهِ
الرَّابِعُ : — قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَخُلَاصَتُهُ إِذَا أُسِرَ الْمُقَاتِلُ — بَعْدَ
 الْإِنْحَانِ وَالْقَتْلِ — فَلِلْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا يَرَاهُ مِنْ مِنْ وَغَيْرِهِ .
الخَامِسُ : إِنْ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ ، وَالْإِمَامُ مُخِيرٌ فِي كُلِّ حَالٍ . . .

ترجم صاحب « الأعلام » (الزركلى) : المجلد الرابع ص ٢٣٥ لأكثر
 من واحد باسم « عطاء » — أختار منهم هؤلاء :
 ١ — ابن أبى رباح (٢٧ — ١١٤ هـ (٦٤٧ — ٧٣٢ م) مطاء
 ابن أسلم بن صفوان : تابعى ، من أجلاء الفقهاء كان عبداً أسود ، ولد
 فى جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفضى أهلها ومحدثهم وتوفى فيها .
 ٢ — عطاء بن دينار (. . . — ١٢٦ هـ = . . . — ٧٤٤ م) عطاء
 ابن دنيلار الهذلى ، مولاهم ، المصرى : من رجال الحديث له كتاب فى
 « التفسير » برويه عن سعيد بن جبر . توفى بمصر .
 ٣ — ابن ميسرة (٥٠ — ١٣٥ = ٦٧٠ — ٧٥٢ م) عطاء بن مسلم
 ابن ميسرة الخراسانى ، نزيل بيت المقدس : مفسر . كان بغزو ، ويكثر
 من التهجد فى الليل . من تصنيفه « التفسير — خ » أوراق منه ،
 و « الناسخ والمنسوخ — خ » جزء منه ، كلاهما فى الظاهرية . هذا
 ومما جاء فى تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٦ : قال ابن عطية ومن المبرزين من
 التابعين الحسن البصرى ومجاهد وسعيد بن جبر وعلمه . قرأ مجاهد
 على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية — ويتلوهم عكرمة والضحاك
 وإن كلن لم يلق ابن عباس ، وإنما أخذ عن ابن جبر . وإما السدى فكان
 عامر الشعبى يطعن عليه وعلى أبى صالح ، لأنه كان يراها مقصرين فى
 النظر وفى نفس المرجع (ص ٣٧) : قال ابن عطية : « والى الناس فيه
 كعبد الرازق والمفضل وعلى بن أبى طلحة والبخارى وغيرهم . ثم إن
 محمد بن جبر — رحمه الله — جمع على الناس اثنتان التفسير ، وقرب
 البعيد منها ، وشفى فى الإسناد . ومن المبرزين من المتأخرين أبو اسحاق
 الزجاج وأبو على الفارسي . وإما أبو بكر النخلى وأبو جعفر النحاس ،
 فكثيرا ما استدرك الناس عليهما . وعلى سنفهما مكى بن أبى طالب رضى
 الله عنه ، وأبو العباس المهدوى متقن التأليف وكلهم مجتهد مأجور رحمهم
 الله ، ونضر وجوههم » .

أقول : فلذا اخترنا القول الثالث ، بأن الآية ناسخة للآية — ٥٠ (التوبة) (أى آية المسيف ، فان المسألة تنتهى الى الله لا اكراء فى الدين ، والى أن القواعد فى الاسلام هى السلم . ثم انه — بذلك يمكن تجنب الاكثار من القول بالنسخ (وانظر — سابقا — بند ١١ ' ، وكذلك المبحث ١٩٦ من هذا الفصل) .

آيات من سورة الممتحنة

٢٤ — تبدأ السورة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة . الخ وفى الآية الرابعة يقول الله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى البراهيم والذين معه ، اذا قالوا اتومهم انا برؤاء منكم ومما تعبدون من دون الله . الخ ، وفى الآيات ٧ و ٨ و ٩ يقول الله تعالى « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

هذا وسورة الممتحنة مدنية بقول الجميع ، وفى أسباب النزول أنها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة ، الذى كان قد أرسل رسالة مع امرأة الى ناس من مشركى مكة يخبرهم بعزم رسول الله (ص) على غزوها . . . وقد ضبطت الرسالة ، وكان رفق رسول الله (ص) بحاطب مضرب المثل . . . وهذا يعنى أن السورة الكريمة قد نزلت قبيل فتح مكة فى العام الثامن للهجرة (انظر القرطبى — ج ١٨ ص ٤٩ وما بعدها) (وانظر للمؤلف : غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ص ٢٦٨ وما بعدها — طبعة أولى) وفى القرطبى آراء كثيرة فى الآية ، ذهب بعضها الى أنها منسوخة بالآية الخامسة من سورة التوبة وفيه كذلك انها (أى ما جاء فى الآية ٨) رخصة من الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقتلواهم . وفيه — أيضا قوله : « وقال أكثر أهل التأويل هى محكمة » واحتجوا بسبب نزول الآية فى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، وكانت أمها (التى كانت

ما زالت على (الشرك) قد زارتها وأهدت إليها « قرطبا وأشياء » فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله وتكرت ذلك له فنزلت الآية « وفى معنى قوله تعالى : « وتقسطوا إليهم » — (أى تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة ، وليس يريد به العدل ، فلان العدل واجب فيمن قتل وفيمن لم يقتل) . (عن تفسير القرطبي ، وانظر وقارن بتفسير ابن كثير المجلد الثامن — دار الشعب ص ١١٤ وما بعدها) .

وفى « الظلال » للشهيد سيد قطب (المجلد السادس ص ٣٥٣ وما بعدها) ان الله سبحانه وتعالى « رخص للمؤمنين فى مواده من لم يقتلواهم فى الدين . ولم يخرجوهم من ديارهم ، ورفع الحرج عنهم فى أن يبروهم . . . ولكنه نهى أشد النهى عن الولاء لمن قاتلوهم فى الدين . . . وحكم على الذين يقولونهم بأنهم هم الظالمون . ومن معانى الظلم الشرك بالرجوع الى قوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (١٣ نمل) وهذه القاعدة فى معاملة غير المسلمين هى اعدل القواعد التى تتفق مع طبيعة هذا الدين . . . وهى أساس شريعته الدولية التى تجعل حالة المسلم بينه وبين الناس جميعا هى الحالة الثابتة ، لا يغيرها وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده ، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة ، وهى تهديد بالاعتداء ، أو الوقوف بالقوة فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد ، وهو كذلك اعتداء وفيما عدا هذا نهى السلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين (وفى الهامش ص ٣٥٤ « يراجع فصل : سلام العالم فى كتاب « السلام العلمى والاسلام » — دار الشروق) . ومما جاء فى نفس المرجع ص ٣٥٤ : « ولقد نزلت بعد ذلك سورة التوبة ، وفيها « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . . الى آخره . . » (ويرجع الى ما سيأتى فيها كتيبه فى العرض والرد على شيخنا المودودى ، والشهيد سيد قطب فى المبحث الثامن عشر) .

وليس عندى ما أضيفه الى ما كتبه صاحب الظلال فى تفسير الآية الثامنة من الممتحنة « فحالة السلم هى الحالة الثابتة بين المسلمين وبين الناس جميعا . ولا ينبغى أن ننسى أن الشهيد سيد قطب لا يقول بمسا يتوله الكثيرون من الفقهاء القدامى من نسخ آيات التوبة لاحكام الوارد

فى هذه الآية ونظيرتها ، فاعتبارها مستقر ، وهو القاعدة ، إلا أن نجد — فى قوله — ذات الظروف التى كانت قبلها عند نزول الآية الأولى من سورة براءة . وانى إذ أحيى الى ما سياتى فى البحث (١٨) أقول هنا وأقول دائما : يجزى الله بالخير صاحب الظلال ، لقاء ما قدم لدينه ولامته ، وما لاقاه من انطفاء بسبب صيقه ، واختلاص قلبه ، وثباته على رأيه . وفى هذه المناسبة — ومرة أخرى — أكرر القول بأن ما جاء فى الآية ١٩ من البقرة ، والآية ٨ من الممتحنة وما جاء فيما ذهب اليه الكثيرون من أن الآية ٤ من سورة محمد ليست بمنسوخة ، وما ذهب اليه البعض من أنها — فضلا عما تقدم — نسخة للآية الخامسة من التوبة — فهذا كله يعنى انها جميعها تقرر أحكاما قائمة ودائمة ، كما يعنى رفع صفة السيف عن الآية الخامسة من التوبة وعن الاسلام فى نشر الدعوة ، كما يؤكد أنه لا اكراه فى الدين . وهذا كله يؤيده ويؤكد الروح العلم للدين والقرآن الكريم . والأمر — بعد — فى نقض ما ذهب اليه الفقه المخالف يسير يسير ، ولا يحتاج الى أكثر من القول بأن « البراءة » الواردة فى سورة براءة لا تمتد الا الى ناكثى العهود ، وليس الى كل أصحاب العهود .

البحث الثالث عشر

الأسارى

٢٥ — فى كتابه « نيل الأوطار » عنوان الاملم الشوكانى لموضوع « الأسارى » بهذا العنوان : « بلب المن والبداء فى حق الأسارى » انطلقنا من قوله تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، الى آخر الآية (٤ — محمد) وتحت هذا العنوان ذكر احاديث شريفة منها : ١ — عن انس « أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبى (ص) واصحابه من جبال التميم عتد صلاة الفجر ليقتلوه ، فآخذهم رسول الله (ص) سلما فاعتقهم ، فانزل الله عز وجل : « وهو الذى كف أيديهم عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا » (٢٤ — الفتح) . لقد أراد هؤلاء الثمانون من قريش

لا وأمر قريش مع النبي والمؤمنين معروفات) — أراحوا أنفسهم من أخطائهم وأخذ النبي والمؤمنين على غرة ، ولكن الله مكن للمؤمنين منهم غامضهم وأعانتهم النبي من القتل منا . وقيل : كان من بينهم معاوية وأبوه . (انظر — على سبيل المثال — أوضح التفسير لابن الخطيب — تفسير الآية السلسلة ذكرها ص ٦٣١) . (والحديث رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي ٢ — وعن جبير بن مطعم « أن النبي (ص) قال في أسارى بدر : لو كان المطعم (٢) بن عدى حيا ، ثم كلمني في هؤلاء الفتى لتركتهم له » (رواه أحمد والبخاري وأبو داود) ٣٠ — وعن أبي هريرة قال : « بعث رسول الله (ص) خيلا قبل نجد » فجاءت برجل من بني حنيفة ، يقال له . ثمامة ابن لثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه في سارية من سواري المسجد ، فخرج اليه رسول الله (ص) فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي يا محمد خير : ان تقتل تقتل ذنبي ، وان تغلظ تغلظ عندي شاكرا ، وان كنت تريد المال ، فسلب تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله (ص) حتى كان بعد الغد ، فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قتلت لك (وأعاد نفس ما تقدم) ، فتركه رسول الله (ص) حتى كان الغد ، فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : « اطلقوا ثمامة » . فانطلق الى نخل قريب فاعطس ، ثم دخل المسجد ، فقال : « الشهادتين » (ثم أضاف) : يا محمد : والله ما كان على الأرض أبغض

(٢) المطعم المذكور في الحديث هو والد جبير راويه . وقد كانت لهطلم يد عند رسول الله (ص) كان قد دخل في جواره حين رجع من الطائف . وقد ذكر ابن اسحاق والفاكهي أن المطعم أهر أولاده الأربعة فلبسوا السلاح ، وقلم كل واحد منهم عند ركن من الكعبة فبلغ ذلك قريشا فقالوا له : أنت الرجل لا تخفر ذمتك . وقيل : ان اليد التي كانت له أنه كان من أشد من سعى في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في طبيعة يفي نهائهم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب . (المرجع نفسه ص ٣٢٠ وما بعدها) . أقول : هذا ، ومثله كثير ، يشير إلى ان المسألة فيما يتعلق بما يتخذ نحو الاسارى ، وفيما يتعلق بغير ذلك من شئون الحرب ونحوها ، وهو كثير — تحكمه المصلحة ، انها مسائل سياسية تدور الاختيار فيها — بين الحلول التي تختارها النصوص — ويتجه الى الاحسن والانتفع للاسلام والمسلمين في الزمان والمكان والظروف القائمة . انها الحلول التي يحكمها ما جاء به الاسلام من مكارم الاخلاق .

الى من وجهك ؟ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى : والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الى ، والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الى . وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فهلذا ترى ؟ فبشره رسول الله (ص) وأمره أن يعتمر . فلما دخل مكة قال له قائل : صبوت ؟ فقال : لا . ولكني أسلمت مع رسول الله (ص) ، ولا والله لا تأنيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأتني فيها رسول الله (ص) (٣) (ص) « (متفق عليه) . أقول : في هذا الحديث الشريف كثير من العبر والدروس : ولقد كان من عبادي بن حاتم الطائي مثل ما كان من ثمامة بن أثال . (انظر المؤلف : الاسلام وحقوق الانسان » بند ١٧٨) . وتجب التفرقة بين الكرام واللئام . لقد كان ثمامة وعدى من الكرام فأجدت معهم الملاطفة والاحسان . ولقد أحسن عليه الصلاة والسلام اني الكثيرين من قبل ومن بعد ، فغدر اللئام منهم أو حاولوا الغدر به وبصحبه . ومن دروس هذا الحديث : أنه « لا أكراد في الدين » ، ولكن « سلوك كريم » يجذب الى الاسلام غير المسلمين . وهذا « السلوك الكريم » هو واجب كل مسلم لنشر الدعوة الى دين الفطرة ، الدين الحنيف . وأعود الى « نيل الأوطار » ، وذكر بعض ما جاء به من النصوص والفقه .

٤ — عن ابن عباس أن رسول الله (ص) جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمئة (رواه أبو داود) . ٥ — عن عائشة قالت : « لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب في فداء أبي العاص بهال ، وبعثت فيه بتلادة كانت لها من عتد خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص . قالت : فلما رأها رسول الله (ص) رق لهلقة شديدة ، فقال : ان رأيتم أن تطلقوها لها أسيرها وتردوها لنا الذي لها ؟ قالوا : نعم » (رواه أحمد وأبو داود) . ٦ — وعن عمران بن حصين أن رسول الله (ص) فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين . ٧ — (رواه أحمد والترمذي وصححه) ٧٠ — وعن

(٣) خرج ثمامة الى اليمامة ، ومنع أهلها أن يحملوا الى مكة شيئا . فأسر ذلك بهم . وكتب القرشيون الى رسول الله (ص) : انك تأمر بصلوة الرحم ، وانك قطعت أرحامنا . فكتب (ص) الى ثمامة أن تخلي بينهم وبين الحمل . (الوثائق لعميد الله ص ٥٦ وما بعدها) أقول هذا هو موقفه من الذين حاصروه وأهله وصحبه في الشعب ، هذا هو موقفه من موقع القوة

ابن عباس قال : « كان نلس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل لهم رسول الله (ص) نداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ... » (رواه أحمد) .

وأخرج البيهقي من حديث ابن عباس « أنه قال : في قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » (٦٧ — الانفال) . ان ذلك كان يوم بدر ، والمسلمون قلة ، فلما كثروا واشتد سلطانهم ، أنزل الله تعالى : « فلما مضى بعد وأما فداء » فجعل (ص) المؤمنين بـاختيار فيهم : ان شاء واقتلواهم ، وان شاءوا استعبدوهم ، وان شاءوا فادوهم . (وانظر في أسارى بدر : السيرة لابن هشلم — القسم الأول — ع ١٤٨ وما بعدها) . (وقارن — سابقا — بند ٢٣) هذا وقد استدلل المصنف (والنقل عن نيل الأوطار) بالأحاديث التي ذكرها على ما ترجم الباب به من المن والفداء في حق الأسارى . ومذهب الجمهور أن الأمر في الأسارى الكثرة . من الرجال إلى الإمام يفعل ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين . وقال الزهري . ومجاهد وطائفة لا يجوز أخذ الفداء من أسرى الكفار أصلا ، وعن الحسن وعطاء : لا تقتل الأسرى ، بل يتخير بين المن والفداء . وعن مالك لا يجوز المن بغير فداء . وعن الحنفية : لا يجوز المن أصلا لا بفداء ولا بغيره . قال الطحاوي : وظاهر الآية : « فلما مضى بعدوا أما نداء » حجة للجمهور ، وكذلك حديث أبي هريرة في قصة نائمة وقال الأوزاعي : بلغني أن هذه الآية : « فلما مضى بعدوا أما فداء » — منسوخة بقوله تعالى : « واقتلواهم حيث تقتلهم » (١٩١ — البقرة) . . . إلى آخره . . يقول المصنف : والحاصل أن القرآن والسنة قلضيان بما ذهب إليه الجمهور ، فإنه قد وقع منه (ص) المن وأخذ الفداء كما في أحاديث الباب (السابق ذكرها) ووقع منه القتل غنائم قتل النخرب بن الحارث وعقبة بن أبي (٤) معيط وغيرها ، كما وقع منه فداء رجلين من المسلمين بربل من المشركين كما في حديث عمران بن حصين . . . إلى آخره . هذا ، وقد رأينا فيما سبق آراء كثيرة تختلف فيما بينها ، وتذهب

(٤) قتل الاثنين يوم بدر (بعد أسرها) . ان الذين وقعوا في الأسر من قريش بعدوا بالعشرات فلماذا قتل من قتل بعد الأسر (وكانوا أقل من القليل) — دون سواهم ؟ أقول : أنهم لم يقتلوا لأنهم أسرى حرب إنما لأنه كان منهم — قبل الحرب — ما يستوجب قتلهم .

فى عدم جواز المن أو الفداء أو هما معا، مذهب شتى بحجة النسخ أو بغيره من الحجج . (وعن النسخ انظر الملاحق الثالث) .

٢٦ — أقول ان الذين أمر الرسول بقتلهم من أسرى بدر ، انما أمر بقتلهم — كما يتضح من مراجعة لما كان منهم قبل هذا اليوم — لانهم مجرموا حرب ، أو لجرائم ارتكبوها قبل بدر ، وكانت تستوجب القتل ، بل ، وما هو أشد من القتل ، اذا كان هناك ما هو أشد منه . واكتفى فيها بلى بنبده عن كل من النضر بن الحارث وعقبه بن أبى معيط ، أما من عداهم فقد عفا الرسول عليه الصلاة والسلام عن أكثرهم (١) رغم شناعة ما كان منهم ، وانى اذ أحيل فى تفصيل القوئ فى ذلك الى كتابى « غزوات الرسول » وسراياه » (مسلسل ٦٨) . اكتفى هنا ببذرة عن النضر وعقبه : فى السيرة لابن هشام (القسم الاول ص ٣٠٠ وما بعدها) : (وتحت عنوان « ما كان يؤذى به النضر الرسول (صلعم) » : « كان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كل ينصب للرسول (صلعم) العداوة . كان النضر قد قدم الحيرة ، وتعلم بها احاديث ملوك الفرس (وقوادهم) ، فكان اذا جلس رسول الله (صلعم) مجلسا ، فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما اصاب من قبلهم من الأمم من ثمة الله ، خلفه النضر فى مجلسه اذا قلم ، ثم قال : انى والله يا معشر قريش احسن حديثا منه ، ثم يحدثهم عن رستم وغيره ، ثم يقول : بماذا محمد احسن حديثا منى ؟ قال ابن هشام : وهو الذى قال : فيها بلغنى — « سأنزل مثل ما أنزل الله » (الآية ٩٣ الانعام) ، وعن ابن عباس : انه نزل فيه (أى فى النضر) ثملى آيات من القرآن : منها « اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . . الى آخره . وهو ومعهم ابن أبى معيط — ، كلنا رسولى قريش الى احبار يهود يسألانهم عن محمد (صلعم) ، . . الى آخره . وفى نفس المرجع ص ٤١٥ ، وما بعدها ، وتحت عنوان « وفاة أبى طالب وخديجة » (ومن المعروف أن عام وفاتها كان عام

(١) . منهم هبار بن الاسود الذى عسى بزيينب ابنة رسول الله وضرب طهرها بالرمح فأنجهضها . وقد أهدى (ص) إليه ، ثم عفا عنه حين أسلم . ولما فرق (ص) الأسرى بين أصحابه قاتل لهم : أو صيكم بالأسرى خبرا .

(الحنن) قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيته (وكنوا جيرانه) — أبا لهب . . . وعقبة بن أبي معيط الى آخره . . . مكان أحدهم يطرح عليه (صلعم) رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته اذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجرا يستتر به منهم اذا صلى . وكان اذا طرحوا عليه ذلك الأذى . . . يخرج به على العود ، فيقف به على بابيه ، ثم يقول . يلئني عبد مثلك ، أي جوار هذا . . . ؟ ! وفي نفس المرجع (ص ٣٦١) : أن عقبة : قتل عمو وجهه النهي (صلعم) . وقد اعترض سفيه من سفهاء قريش طريقة (صلعم) ، وثرى على رأسه ترابا . . . الى آخره . . . وكان هذا الاسراف في الاعتداء على النبي (صلعم) بعد وفاة عمه أبي طالب . ومرة أخرى أحيل القاريء ، فيها يتعلق بمن أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقتلهم من الأسرى في بدر وغيرها الى كتابي السابق ذكره ، والى السيرة لابن هشام وغيرها من كتب السيرة ، ثم أتبه الى أنه يتبين من هذا العرض أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يعمل بالأسرى سوى المن أو الفداء ، ثم انه قد يسر عليهم حين طلب الى بعضهم تعليم أبناء الانصار الكلبية كفداء .

٢٧ — وكان عليه الصلاة والسلام قد عهد الى أمراء جيشه حين أمرهم بدخول مكة ، ألا يقتلوا ، الا من يقتلهم . قال ابن اسحاق : وقد بعث رسول الله (ص) فيما حول مكة السرايا تدعو الى الله عز وجل ، ولم يأمرها بقتال . . . وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره بأن يسير بأسفل تهامة داعيا . ولم يبعثه مقاتلا ، فوطئ بني جذيمة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح . فقال خالد : — ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا . . . قتل بعض أهل العلم من بني جذيمة . لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم ، يا بني جذيمة ، انه خالد ! ما بعد وضع السلاح الا الأسار ، وما بعد الأسار الا ضرب الاعناق ، غير أنهم مازالوا حتى وضع سلاحه ، ووضعواهم — أيضا — سلاحهم لقول خالد . . . وعن أبي جعفر محمد بن علي قال فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكنفوا ثم عرضهم على السيف . فقتل من قتل منهم . . . فلما انتهى الخبر الى رسول الله (ص) استقبل القتلة فلما شاهدهم يديه ، حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه ، يقول : اللهم اتني أبرأ إليك مما صنع (٥ — حقوق الانسان)

نخالد بن الوليد ثلاث مرات ، ثم انه (صلعم) بعث على بن أبى طغلب ، ومعه مال ، وأمره أن يدي لبني جزيمة الدماء وما أصيب لهم من الأموال .

المبحث الرابع عشر

توضيح الدهلوى

٢٨ — لماذا ذهب الفقه القديم عامة الى أن قتل الكفار واجب وأن لم يدعونا ، وأن الخيار لهم بين أحد أمرين : إما الاسلام ، وإما القتال لا ثالث لهما ؟ أنقل هنا هذا التوضيح للدهلوى (١) . قال : تحت عنوان « الجهاد » أن أتم الشرائع وأكمل التواميس هو الشرع الذى يؤخذ فيه بالجهاد : وذلك لأن تكليف الله عباده بما أمر ونهى ، مثله كمثل رجل مريض عبيده ، فأمر رجلا من خاصته أن يسهبهم دواء ، فلو أنه قهرهم على شرب الدواء ، وأوجره فى أموالهم لكان حقا . لكن الرحمة اقتضت أن يبين لهم فوائد الدواء ليشربوه على رغبة فيه ، وأن يخلط معه العسل ليتعاضد فيه الرغبة الطبيعية والعقلية . ثم أن كثيرا من الناس تغلب عليهم الشهوات الدنية والأخلاق السبعية ، ووساوس الشيطان فى حب الرياسات ، ويلصق بقلوبهم رسوم آبائهم فلا يسمعون تلك الفوائد ، ولا يذعنون لما يأمر به النبى (ص) ، ولا ينامون فى حسنه ، فليست الرحمة فى حق أولئك أن يقتصر على اجبات الحجة عليهم بل الرحمة فى حقهم أن يقهروا ليدخل الايمان عليهم على رغم أنفهم بمنزلة ايجار الدواء المر . ولا قهر الا بقتل من له منهم مكاية شديدة ، وتمنع قوى ، أو تفريق منعهم . وسلب أموالهم حتى يصيروا لا يقدرّون على شىء ففعلت ذلك يدخل أتباعهم وذرائعهم فى الايمان برغبة وطوع ، ولذلك كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر : وكان عليك اثم الأريسيين . (أى الاتباع من الفلاحين) . وزينا كل أسرهم وقهروهم ، يؤدى الى ايمانهم . والى هذا أشار النبى (ص) حيث قال : « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » (من حديث طويل رواه البخارى وغيره) وأيضا بالرحمة الكاملة الكاملة بالنسبة الى البشر أن يهديهم الله الى الاحسان وأن يكبح ظالمهم عن

(١) المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوى . (انظر كتابه : « حجة الله البالغة » تحقيق الشيخ السيد سابق — ج ٣ ص ٧٨٤ وما بعدها — دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

الظلم ، وإن يصلح ارتفاعناهم ، وتدبير منزلهم ، وسياسة مدينتهم . فالمدن الفاسدة التي يغلب عليها نفوس سبعية ويكون لهم قمع شديد ، إنما هو بمنزلة الأكلة (وهو مرض معروف) في بدن الإنسان . لا يصح الإنسان الإبتلاع والسر القليل إذا كلن مفضيا إلى الخير الكثير واجب فعله ، ولك عبء غيرة بقرش ومن حولهم من العرب ! .

ويستطرد الدهلوى فيقول : « فلو لم يكن في الشريعة جهاد أولئك لم يحصل اللطف في حقهم » « وأيضا فإلن الله تعالى غضب على العرب والعجم (أى لما كانوا عليه قول الإسلام) ، وقضى بزوال دولتهم يقول تعالى : « فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم » (١٧ — الأنفال) . وإلى هذا السر أشار الحديث الشريف : « ان الله مبقى عربهم وعجمهم الا بقلياً أهل الكتاب » . والحديث الشريف الآخر : « لا كسرى ولا قيصر » (أى يعنى المتدينين بدين الجاهلية) .

وعن قوله عليه الصلاة والسلام « لا كسرى ولا قيصر » — عن هذا القول الكريم ، عن هذه العبارة من جوامع الكلم ، يدور في خاطري الكثير والكثير — واكتفى هنا بدعوة المسلمين خاصة وكل الأحرار في كل زمان ومكان — علمية ، لكى يتحدوا ، ويتواصوا بالحق والصبر في مواجهة كل رموز الظلام والظلم ، والإفساد الأرضي . ان للبشر ، كل البشر ، حقاً ، في الحرية الحقيقية والعدل بكل صورة ، ان لهم حقاً ثابتاً في التحرر من الجوع والخوف ، ولا حرية ولا عدل مع استبداد البعض ببعض ، واستغلال البعض للبعض ، ولا حرية ولا عدل مع غلبة الشهوات والنزوات ، ان الحرية والعدل جميعاً في العبودية لله ، ولا أحد ولا شيء غير الله . وحين تصبح البلاد ، كل البلاد ، مفتوحة » ، فقد نهد الطريق أمام الدين الخاتم ، الدين الحق . .

البحث الخامس عشر

رد على الراى السائد فى فقه الأوائل

٣٩ — فى تفسير الآية ١٩١ من سورة البقرة : « وأقتلوهم حيث تفتقروهم . . . » جاء فى « نيل المرام » (نفسه ص ٢٨) — فيه الأمر بمقتلة المشركين ، ولو فى الحرم ، وإن لم يبتدئوا بالقتال فيه ، إلى غاية ، هو الا تكون فتنة ، وإن يكون الغين الله ، وذلك بالتدخل فى الأسبـسلام

والخروج من سائر الأديان المخالفة له . وإلى هذا ذهب الفقهاء القدامى :
 انه ، وأتهم يذهبون هذا المذهب رغم أنه قد جاء في نفس الآية « ولاتقتلوهم
 . عقد المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه » فان قتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء
 الكافرين » (وانظر المبحث السابع) . وعن الآية ١٩٣ البقرة « وقاتلوهم
 حتى لا تكون فتنة . . . » جاء في تفسير القرطبي (ج ٢ ص ٣٥٣) : أمره
 بالقتال لكل مشرك في كل موضع ، وهو أمر يقتل مطلق لا بشرط أن يبدأ
 الكفار . . الى آخره . دليل ذلك — والكلام للقرطبي — قوله تعالى : « ويكون
 الدين لله . . » ، وقول الرسول (صلعم) « أمرت أن أقاتل الناس حتى
 يقولوا : لا اله الا الله . . انى آخر الحديث » (انظر ما سيأتى
 في نفس البند عن ابن رشد ، وفي البند ٣١ عن تفسير المنار ، وبند ٢٠ حيث
 أوضح معنى الحديث) فدللت الآية والحديث (والكلام للقرطبي) على أن
 سبب القتال هو الكفر ، لانه قتال : « حتى لا تكون فتنة » (١٩٣ — البقرة)
 أى حتى لا يكون « كفر » — « فان أنتهوا . . » (انظر الآيتين ١٩١ ١٩٣ . .
 البقرة) — (أى عن الكفر) اما بالاسلام كما في الآية قبل : « أو بأداء الجزية
 في حق (١) أهل الكتاب (الآية ٢٩ التوبة) والا قتلوا . . » (للقرطبي — نفسه :
 ص ٣٥٤) . وهكذا ، نلاحظ أن القرطبي وغيره من الفقهاء القدامى ، نقولون :
 بالقتال في كل موضع أى حتى في الحرم وان لم يبدأ الكفار . . كما قالوا انما
 ان المقصود « بالفتنة » هو « الكفر » وهذا تفسير للفتنة بغير المعنى المتبادر
 منها ، وهو المعنى الذى ذكرناه عن ابن عمر من قبل (بند ١٦) . ومدهبهم
 هذا انتهى الى معنى الاكراه في الدين : فالمشرك يجب قتاله حتى يسلم ،
 ومن كان من أهل الكتاب يجب قتاله حتى يسلم أو يعطى الجزية . وقد عقد
 ابن رشد في كتابه « بداية المجتهد . . ج ١ ص ٣٨٩ وما بعدها » فصلا
 بعنوان « لماذا يحاربون ؟ » فقال : اتفق المسلمون على أن المقصود بالمحاربة
 لأهل الكتاب — ماعدا أهل الكتاب من قريش ونصارى العرب (٢) — هو
 أحد أمرين : اما الفخول في الاسلام واما اعطاء الجزية (وذكر الآية ٢٩)

(١) انظر الملحق الثاني ، وفيه أن القرآن الكريم يستعمل « الشرك » :

و « الكفر » — أحيانا — بمعنى واحد .

(٢) فلا يقتل منهم الا الاسلام أو القتل — (وهذا الرأي محل نظر —

كما سيأتى بعد في ذات البند نقلا عن ابن القيم) .

من سورة التوبة ٧ — وكذلك اتفق عامة الفقهاء على أخذها من المجوس لقوله (ص) « سنوابعهم سنة أهل الكتاب » — واختلفوا فيما سوى أهل الكتاب من المشركين : هل تقبل منهم الجزية أم لا ؟ فقل قوم : تؤخذ الجزية من كل مشرك . وبه قال مالك . وقوم استثنوا من ذلك مشركى العرب . (الذين لا يتبعل منهم — على هذا الرأى — الا الاسلام أو القتل) وقال الشافعى وأبو ثور وجماعة : لا تؤخذ الا من أهل الكتاب والمجوس . والسبب فى اختلافهم معارضة العموم للخصوص . أما العموم فله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . . . » (الأنفال — وانظر ١٩٣ البقرة) — وقوله (ص) : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فإذا قتلوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » — وأما الخصوص فتقوله (ص) لأمرء السرايا الذين كان بيعتهم لمشركى العرب — ومعلوم أنهم كانوا غير أهل كتاب — « فإذا لقيت عدوك فادعهم الى ثلاث خصال ، فذكر الجزية فيها . فمن رأى أن العموم اذا تأخر عن الخصوص فهو ناسخ له قتل : لا تقبل الجزية من مشرك ما عدا أهل الكتاب لأن الاى الأمرة بقتالهم على العموم هى متأخرة عن ذلك الحديث وذلك أن الأمر بقتال المشركين عامة هو فى سورة براءة ، وذلك عام الفتح ، وذلك الحديث انما هو قبل الفتح بدليل دعائهم فيه للهجرة . ومن رأى أن العموم يبنى على الخصوص ، تقدم أو تأخر ، أو جهل التقدم والتأخر بينهما قال : تقبل الجزية من جميع المشركين . . الى آخره . (وانظر ما مضى بند ٣١ وهامش ٩ منه) (وانظر — كذلك بند ٣٠) .

وفى زاد المعاد لابن القيم (ج ٣ ص ٢٢٣ وما بعدها) : أمر الله سبحانه وتعالى النبى الكريم بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ، فامتثل أمر ربه فقتلهم ، فأسلم بعضهم وأعطى بعضهم الجزية واستمر بعضهم على محاربتهم . أخذها (ص) من أهل نجران وأيلة ، وهم من نصارى العرب ، ومن أهل دومة الجندل وأكثرهم عرب ، وأخذها من المجوس ، ومن أهل الكتاب باليمن وكانوا يهودا ، ولم يأخذها من مشركى العرب . فقال أحمد والشافعى : لا تؤخذ الا من الطوائف الثلاث التى أخذها الرسول منهم ، وهم اليهود والنصارى والمجوس ، ومن عداهم لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل . وقالت طائفة : فى الامم كلها : اذا بذلوا الجزية شلت منهم

أهل الكتاب بالقرآن، والمجوس بالسنة، (لقوله (ص): سنوابعهم سنة أهل الكتاب) ومن عداهم ملحق بهم (أى بالمجوس) ، لأن المجوس أهل شرك لا كتاب لهم ، فأخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين ، وإنما لم يأخذها (ص) من عبدة الأوثان من العرب ، لأنهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية ولهذا السبب نفسه لم يأخذها من اليهود الذين حاربوه لأنها لم تكن نزلت بعد وقرنت طائفة ثالثة بين العرب وغيرهم ، مقالوا : تؤخذ من كل كافر الا مشركى العرب . وقرنت طائفة رابعة بين قريش وغيرهم ، وهذا لا معنى له ، فان قريشا لم يبق فيهم كافر يحتاج الى قتاله وأخذ الجزية منه البتة . وقد كتب (ص) الى أهل هجر ، وإلى المنذر بن سادى ، وإلى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاسلام أو الجزية ولم يفرق بين عربى وغيره .

فإذا أخذنا بالرأى الذى أخذ به ابن القيم (وهو فقيه جليل) ، فهذا يؤكد أنه « لا اكراه فى الدين » ، (لأن الجزية — كما جاء عنه — تقبل من كل مشرك) وهو ينفى — بالتالى — ما قاله البعض من أن الرسول (ص) أكره مشركى العرب على الاسلام . لقد حارب رسول الله (ص) وصحبه من عائد الاسلام والمسلمين . ولقد رضى (ص) ممن عاندوه وحاربوه — حين انتصر عليهم — بالاسلام أو الجزية ، أى أنه حارب من وقف ، وبالقوة فى وجه الدعوة ، فلما انتصر عليهم وأنس منهم اختيارهم البتساء على عقائدهم ، رضى منهم بالجزية ، لا لشيء الا لأنها رمز على أنهم كنوا عن سنادهم ، أى أنه أمن جانيهم ، وأطمأن الى كبر عداونيتهم .

ان الجيوش الاسلامية المنتصرة لم فكره غير المسلمين على الاسلام ، وإنما تركتهم وما يعبدون ، ورضيت منهم بالجزية كرمز للالتزام بأحكام الدولة الاسلامية التى دخلوا فى أمانها ، والقرمت نحوهم بالمقابل بكل شيء : توفير الامن والحرية لهم ، وأعالة من لا يجد من يعوله منهم . . . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . . . لقد انقطع بذلك دابر الفتنة ، فتنة المسلمين وغير المسلمين عن دينهم . . . وهذا هو معنى ظهور الاسلام على الدين كله . . ثم ان هؤلاء الذين قتلوا بالقتال ابتداء حتى لا يكون هناك دين مخالف لدين الاسلام ، قد نسوا ما جاء فى القرآن الكريم من أن الله — جلت حكمته — أم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة (انظر ما سياتى بتد ٣٥) .

وفي تفسير المنار (ج ١ ص ٢٧١) : يقول بعض العلماء انه لا يجب بدء الحربيين بالقتال لأجل الجزية والقبول في حكمها إذا لم يوجد سبب آخر . ان الجزية — كما جاء في نفس التفسير — مال حقير قليل لا يقرر معطيه ، ولا يعنى أخذه ، ومن شروطها أن تكون عن قدرة وسعة ، والا يكلف احدا منها فوق ما يطيق » (نفسه ج ١ ص ٢٧) : لقد غلبت البعض أنه « لا اكراه في الدين » (٢٥٦ البقرة) ، كما فاتهم نص الآيتين ١٩٠ و ١٩٤ من نفس السورة . وهما صريحتان في انها لا تقايل الا من يقتلنا ، وان الحرمات قصاص . وكما فاتهم نص الآيتين ٦١ و ٦٢ الانتفال ، وهذه الأخيرة تنص على الطوبى للسلام إذا جنح اليها العدو ، والتي قبلها تأمرنا بالتخلف كل أسباب القوة ، وباعداد العدة . وهذا — فيها أرى عرض عبي . وهذا — ودالك — من الأعداد والاستعداد — ليسا للحرب ، ولكن لمنع الحرب ، ولا يمولني أن أقول ان القبول بالجزية يعنى أن الاسلام يقبل بتعدد الأديان « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

المبحث السادس عشر

رد على الرأي السائد في فقه الأوائل

(امتداد)

٣٠ — ما ذهب اليه الفقهاء المسلمون الأوائل (وجاراهم فيه المتأخرون (١) إلى ما قبل محمد عبده) سبق عرضه والرد عليه في المباحث السابقة ، وخصاصة في البحث الأخير منها . وأريد أن أضيف هذا (في هذا الامتداد) — وبإيجاز شديد أمورا أخرى ، منها أن كل ما أطلعت عليه من كتب التفسير والحديث والفقه حتى عصر الامام الشيخ محمد عبده (ت — عام ١٩٠٥ م) — ينحوي نفس المنحى ، ويحملني ما استدلل به صاحب تفسير المنار ، وكذلك استاذي الشيخ عبد الوهاب خلاف من أقوال لبعض الفقهاء الأوائل والمتأخرين (قبل عصر الامام محمد عبده) لتأييد رأيهما (الجديد) في الجهاد (وهو الرأي الذي يلوره الامام محمد عبده قبلهما) — يحملني

(١) فالألويسي (١٨٠٢ — ١٨٥٤ م) انفسج على منوالهم ولم يشذ عنهم (انظر له : روح المعاني في التفسير ، وهو من تسع مجلدات كبيرة) (وانظر : الاعلام للزركلي ج ٧ ص ١٧٦ . (مادة : محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي) .

ما استدلا به — وهو لا يؤدي الى ما ارادا — على القول بأن الفقه القديم (٢) كان رأيا واحدا لا ثاني له على مدى قرون طويلة . اللهم — بلا ريب — أكثر اطلاعا منى فى هذا الموضوع . وما استدلا به ، وهو منى نظرى — كما سنرى بعد — ينتمى الى الفقه القديم ، يعنى انهما لم يجدا ما يخالفه . وانى اذ اختلف مع ما ذهب اليه هذا الفقه — على النحو الذى جاء فى المباحث السابقة من « عرض ورد » . . . اعود لأؤكد هنا أن الاسلام لم ينتشر بالسيف ، وأن « غزوات الرسول — صلى الله عليه وسلم — وسراياه » كانت دائما (دعما لعدوان ، أو دالا عليه ، أو اجهاضا له . وانى لا أقول هذا من فراغ ، أو تقلا عن آخرين ، ولكن بعد ما تبين لى من متابعة الغزوات والسرايا ، ودراستها ، وإخراج مؤلف فيها (سبقت الاششارة اليه مرارا) . ما أكثر ما لاقى الرسول (صلعم) وصحبه من العرب واليهود ، وما أدرك ماذاقه وذائقوه منهم . . ! ولتذكر — على سبيل المثال — غزوة الأحزاب التى تال عنها الرسول (صلعم) نصحيه : لقد رمىكم العرب عن قوس واحدة . . ! (انظر للمؤلف : كتاب : غزوات الرسول . . . مسلسل رقم ٣٠) — وانتقل (مستأذنا القارىء) عن نفس الكتاب (بتصرف) : « أن ما تعرض له الرسول ودمجبه من الأذى ، أشد الأذى ، فى مكة معروف . . وكانت الدعوة شبه محاصرة على مدى السنوات الطوال التى أقضاها الرسول (ص) وصحبه فيها . ثم كانت بيعتا العقبة ، وكانت الهجرة ، وكان الاذن له وللمسلمين بالقتال : « اذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا . . . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ألا أن يقولوا ، ربنا الله » (الأفعال الثلاثة) يقتلون — ظلموا — اخرجوا — مبنية للمجهول) (انظر ٣٩ و ٤٠ الحج) . وقد استمرت حربى فى الكيد له ولدعوته بعد الهجرة ، وكانت معه منى بحالة حرب الى أن كان العام الثامن وفتح الله له مكة . أما اليهود بيثرب وما حولها ففسدوا دعوتهم : انمى (صلعم) ولكنهم نكثوا وغدروا فدارت الدائرة عليهم . وأما القبائل بشبه الجزيرة العربية ، وزعماء هذه القبائل بالذات ، (فيها عدا قلة قليلة كانت ببنه وبيتهم موداعة ، ولم يكن نادرا نكثها من جانبهم) — أما هذه القبائل وزعماءها ، فلم تكن أقل كيدا له لأكثر من سبب (ظنوا دعوته رعاة

(٢) أقصد بالذات كتب التفسير بدءا من الطبرى (ت — ٣١٠ هـ)

يدنويوة فأنفسوه ؟ وأوا الدين الجديد يسوى بين الناس ؟ وكانوا قد استخفوا
الناس فعبدهم الناس .. الى آخره) .. ثم أن السطو للسلب والنهب
واستعراض القوة كلن شأنهما بين القبائل . لقد كانوا « على شفا حفرة من
النار » فأنقذهم الله منها بالاسلام . (انظر الآية ١٠٣ — آل عمران) .
أن الرسول ، وان المسلمين ، وهم برون الكيد يأتيهم من كل جانب ويباغتهم
فى كل وقت من ليل أو نهار ، قد لأضطروا الى سل سيوفهم ، ليس للاعتداء
ولكن لرد الاعتداء ، وليس للاكراه فى الدين ، ولكن لحمالية الدعوة ، ومنع
الفتنة . لقد عاش الرسول (صلم) بالمدينة ، وعاشت معه المدينة على
مدى النسنين بأذن مرهفة ، وعين يقظة ، بسبب ما كان يروعها ، من قطاع
الطرف ، وأهل الغدر ، مما جعلهم لا يأوون الى فراشهم ، الا وسيوفهم
أقرب ما تكون الى أيديهم . عن ثابت ، عن أنس قتل : كان (صلم) أحسن
الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة
فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبى (صلم) ، قد سبق الناس
الى الصوت ، وهو يقول : « لن تراعوا ، لن تراعوا ، وهو على فرس لأبى
طلحة ، عرى ما عليه سرج ، فى عنقه سيفه . فقال : قد وجدته بحرا ،
أو انه لبحر » (رواه البخارى فى الألب رقم ٣٩ ج ٨ ص ١٦) . وفى ذات
المعنى هاتان الآيتان من سورة النساء « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم
جناح أن تنقصروا من الصلاة ، ان خفتن ان يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا . وإذا كنت فيهم فلاقتهم لهم الصلاة فلهنم طائفة منهم
معك ، وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ، ولنات طائفة
أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذو حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا
أو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر ، أو كنتم مرضى أن تضيعوا أسلحتكم ،
وخذوا حذرکم ، ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا » (الآيتان ١٠١ و ١٠٢)
(المرجع المذكور ص ١٤ وما بعدها) (وانظر — على سبيل المثال — نفس
المرجع — مسلسل أرقام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ الى آخره) .

وبقيت كلمة عن الحديث الشريف « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا :
لا اله الا الله ، فلذا قالوها عصموا متى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله » — وألكر هتأ ما جاء فى تفسير المفار عن هذا الحديث الشريف :

يَقْتَالُ (مما شَلَّ — وهو كثير) موضوع كل منهما (أى الحديث والآية الخامسة من سورة التوبة (المسماة بآية السيف)) — بيان ما يشترط بالكف عن قتال المشركين للمحاربين . . . فإن قيل: ظاهر لفظ الحديث أنه مطلق عام . . . يقال: تلك الكفار ، لا في المشركين كالأية ، قلت: أولا: ان الله جعل القتال أهلاً للكتاب في هذه السورة غلبة أخرى غير هذه الغاية العامة (وهي إعطاء الجزية) (الآية ٢٩) ، وهي ليست نهضة ، ولا تخصيصاً للآية باختلافها موردها وهذا يعارض عموم الحديث ، فيترجح حملها على قتال المشركين كالأية . . . الى آخره . وعن الآية (٥ — التوبة) جاء في نفس التفسير « فإذا انسحق الأشهر الحرم فباقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » — أى فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرم عليكم قتال المشركين فيها ، فسلطوهم في أى مكان وجدتموهم فيه . . . لأن الحالة بينكم وبينهم بسبب فتنة العهد عادت الى حالة الحرب كما كانت . . . وإذا كنت ساعود — يأن الله — الى الآيات المعنية من سورة براءة في المبحث الثامن عشر من هذا الفصل فلأيموتنى أن اضيف أن المقصود بقوله « اقاتل النّاس » هم هؤلاء الناس من المشركين المجاريين الذين ما كانت الحرب لتتشعب بين الرسول وبينهم ، الا بسباب آية منهم (كما سبق بيان ذلك) رارا وتأنيده يتتبع غزوات الرسول وسراياه) وأما عن قوله « حتى يقولوا: لا إله الا الله » . . . فأتى أنبهرها كما فسّر ابن كثير قوله تعالى « تقاتلوا أو يسلمون » (الآية ١٦ — الفتح) (انظر سابقاً — البند ٢٠) إذ قال: يعنى يشرع لكم جهادهم وقتالهم ، ولا يزال ذلك مستمرا عليهم ، ولكم النصر عليهم « أو يسلمون » فبدخلون في دينكم لا قتال ، بل باختيار . . . وكلمة أخرى يهاجى اضافتها هنا ، وهى الانفارقة بين « مكرهين » و « كلهم » . فالرسول والمسلمون لم يكرهوا أحدا على الدخول في الاسلام ، لأنه « لا اكراه في الدين » (٢٥٦ البقرة) ، غير أنه — بعد فتح مكة بالذات — دخل الكثيرون في الاسلام ، أفرادا وجماعات « كبارهم » أى « غير صادقين » . يقول تعالى في سورة الحجرات: « قالت الاعراب آمنا ، قل: لم تؤمنوا ، ولكن قولوا: أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلكنكم من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . أما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله يدينكم ، والله يعظم ما في السموات وما في الأرض ، والله بكل شيء عليم .

يموتون عليك أن أسلموا ، قل : لا تهتفوا على أسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . أن الله يعلم قبيح السموات والأرض والله بصير بما تعملون » (الآيات ١٤ - ١٨) — هؤلاء هم الذين ما كانوا يعلمون بأخلاق الرسول (صلعم) الرفيق الأعلى ، حتى ارتد من أمرهم ، ومنع الزيادة من منافعهم . وقد أسرع إلى المدينة جماعات منهم ، مهتدة ومتوعدة ، واشترأبت في ذات الوقت من داخل المدينة أعناق التفلق ، وكلمات صلاية أبي بكر وصحبه ، وكلفت الحروب التي عرفت بحروب الردة . ونصر الله جنده . . . (انظر تفصيل أكثر في الاسلام وحقوق الانسنان المؤلف — طبعة ثانية ، بند ٣١٥) (وانظر بند ٤٥ — وهامش (١) منه .) أي من عذا الكتاب (الجهاد) .

المبحث السابع عشر

الجهاد

في تفسير المنار ، والسياسة الشرعية للشيخ خالاف

عرض وتقد

٣١ — في حدود اطلاعى أقول : ان الامام الشيخ محمد عبده (م ١٩٠٥) هو أول من ذهب إلى الزاى المخالف لآراء الفقهاء القدامى ، ومن يسج على منوالهم إلى ما قبل عصره ، كالنفسى والجلالين والالوسى وغيرهم . ثم هذا حذو الامام الكثيرون ممن جاء وابعده ، مما شكل مربقا ، حديث النشأة ، لكنه واسع الانتشار .

وفيما إلى عرض لآراء الاستاذ الامام وصاحب المنار (رضى الله عنهما) في تفسير المنار (ج ٢ ص ١٦٧ وما بعده) — طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) — عن الآية ١٩٠ البقرة (وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) أي ائذنت لكم في القتال على أنه جفناح في سبيل الله للمؤمنين من عبادته في بيته ، وتلدنيا لمن يهلول أن يفتنكم في دينكم وينكث عهدكم : « ولا تعجلوا » بالقتال فتبدعهم ، ولا في القتال فقتلوا من لا يقابل كالنساء ، أو من القى اليكم السلم . . . ولا بعير ذلك من أنواع الاعتداء كالتهريب . . . وعن الآية ١٩١ ، « واقتلوه حيث ثقتهم » . أي اذا نشب القتال فاقبلوه أيما أدركتموه . . . والفتنة أشد من القتل .

يشير إلى ما تعرض له المسلمون من ترغيب وترهيب وتعذيب .. وما تقرره هذه الآيات على هذا الوجه مطابق لقوله تعالى : « أنن للذين يتسلطون بأنهم ظلموا .. (٣٩ و ٤٠ الحج) — وهذا أول ما نزل من القرآن معللا بسببه .. « فان انتهوا » عن القتال فكفوا عنهم .. أو فان انتهوا عن الكفر فإنا الله يقبل منهم » (١٩٢) — وعن الآية ١٩٣ « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » عطف على الآية ١٩٠ ، التي بينت بداية القتال . وهذه (١٩٣) بينت غايته . قال الاستاذ الامام : أى حتى لا تكون لهم قوة يفتنوكم بها ويؤذونكم لأجل الدين ، ويمنعونكم من اظهاره والدعوة اليه « ويكون الدين لله ، أى يكون دين كل شخص خالصا لله .. « فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمت قصاص (١٩٤) أى أن المحظور فى الأشهر الحرم هو الاعتداء دون المدافعة .. « والحرمت قصاص » أى بالمقاصة والمعاملة بالمثل . وتل الاستاذ الامام : أن حروب الرسول كانت كلها دفاعا عن الآيات الأنفال فزلت فى غزوة بدر الكبرى .. وآيات براءة نزلت فى ذلك العهد من المشركين ، ولذلك قل تعالى : « فما استقبلوا لكم فاستقيموا لهم » (٧ — براءة) هذا وقد نقل صاحب المنار (نفسه ج ١ ص ٢٧١ وما بعدها) ما لخصه الحافظ بن حجر من أقوال العلماء فى حكم الجهاد فى شرح البخارى عند قوله « بلب وجوب النفير وما يجب من الجهاد » والثنية « فذكر — أولا — أن الكلام فى حالين : زمن الرسول (ص) وما بعده وأقول : أنه نقل بعد ذلك عن الشرح المذكور كل ما يدور حول « فرضية الجهاد » ومتى يكون عينا ، ومتى يكون كفائيا ، ثم يقول (ص ٢٧١) « نعلم من هذا أنه ليس فى مسألة جهاد العدو بالسيف إجماع من المسلمين » ثم انتقل صاحب التفسير الى صاحب المغنى وقال : قال الشيخ الموفق فى المغنى : ويتعين الجهاد فى ثلاثة مواضع : ١ — إذا التقى الزحفان وتقاتل الصنفان .. ٢ — إذا نزل الكفار فى بلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم ٣ — إذا استنفر المسلم قوما لزمهم النفير معه « أ . ه وأقول : — أنه ليس فيما نقله صاحب المنار عن الحافظ بن حجر ، ولا فيما نقله عن الموفق فى المغنى ما له صلة بما يذهب اليه من أن الجهاد فى الاسلام لا يكون بحرب الكفار ابتداء . وإنما هما (ابن حجر والموفق) فيما أرى يفرقان بين حالتين : حالة الجهاد كفرض عينى ، وحالته كفرض كفائى . وهما عندهما : فرض عينى فيما ذكرنا ، وفرض كفائى (أى لا بد أن يقوم به البعض

والا أثم الكلّ) — فى حالة حرب الكفار ابتداء (وانظر سابقا — عن فرضية الجهاد (بند ٢٠) وفيه نجد من يراه مرضا عينيا دائما كسعيد بن المسيب . وغيره . لقد حاول صاحب المنار أن يجد فى فقه السابقين ما يتفق مع مذهب الاستاذ الامام ، لكن ما نثله لا علاقة له بما حاول وأراد . أن مثله القدامى رأى واحد ، بيئته مرارا .

٣٢ — كتاب السياسة الشرعية « للشبّخ خلاف من خير ما قرأت فى موضوعة وقد كتبه الشيخ رحمه الله علم ١٩٢٣ (١) ، وكان فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره (٢) . والاشارة الى الكتاب هنا لا تغنى عن الرجوع اليه . وانكئى بها يلى : يقول : اختلف (٣) علماء المسلمين فى أسس العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من قبائل فريقي منهم : أن الاسلام يأمر بدعوة مخالفة الى أن يدينوا به ، وهذه الدعوة دعوتان ، دعوة باللسان ودعوة بالسنان : فمن دعوا باللسان على الوجه الصحيح ولم يجيبوا ، وجب على المسلمين دعوتهم بالسنان ، فان كفوا من مشركى العرب فلا يحل الكف عن قتالهم حتى يسلموا ، وان كانوا من أهل الكتاب أو من مشركى غير العرب لا يحل الكف عن قتالهم حتى يسلموا ، أو يعطوا الجزية . وقيل الوصول الى هذه الغاية لا تجوز مسلّتهم ولا يحل الكف عن قتالهم الا بالضرورة بأن كان بالمسلمين ضعف ، وبمخالفتهم قوة ، فحينئذ تجوز المسالمة المؤقتة للخزيرة التى يجب أن تقدر بقدرها . وقال فريق آخر من العلماء (ص ٧٠ وما بعدها) : أن أساس علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول لا تغاير ما قرره فقهاء القلتون الدولى (العام) أساسا لعلاقات الدول الحاضرة ، وأن الاسلام يجنب للسلم لا للحرب ، وأنه لا يجوز قتل النفس لجرد أنها تدين بغير الاسلام ، ولا يبيح للمسلمين قتال مخالفتهم ، ولا يأذن لهم فى ذلك ويوجب عليهم الا اذا اعتدى مخالفتهم عليهم أو وقفوا عقبة فى سبيل الدعوة ليحولوا دون بنها وتبشرها . فلذا لم يكن من ذلك شىء ملا يحل

-
- (١) كما هو واضح من المقدمة التى كتبها المؤلف للكتاب .
 (٢) انظر الاعلام للزركلى ، وفيه أن المؤلف ولد عام ١٨٨٨ م
 (٣) السياسة الشرعية — أو — نظم الدولة الإسلامية — فى
 الشئون الدستورية والخارجية والمالية . المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ
 ص ٦٣ وما بعدها .

قتلهم ولا تحرم معاملتهم وتبادل المنافع معهم . وأورد أستاذي رحمه الله حجج الفريقين ، والفتاوى المترتبة على ما ذهب إليه كل منهما ، ثم قال : والمظر الصحيح (ص ٧٦ وما بعدها) يقيد أنصار السلم (أى الفريق الفانى) ، ومضى رحمه الله فى تنفيذ حجج الفريق الأول واستشهد بقول عن ابن تيمية والفخر الرازى : وأنى إذ أشيد مرة أخرى بما كتب أستاذي رحمه الله — لاحظ الآتى : —

أولاً : — يقول : ان علماء المسلمين قد اختلفوا فى أسس العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها ، الى فريقين : — فمن هما هذان الفريقان ؟
 ثبته — رحمه الله — ذكر بعض الأسماء (٤) لهذا التفريق الآخر . ان هذا الرأى الشافى لم أت له إلا — فى حدود اطلاعى — فيها كتب السابقون على الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله . ولقد كتب الشيخ خلافاً . أنهما فريقان ، ثم جاء من بعده من قال : ان هذا الفريق الآخر هو « الجمهور » (٥) . ومن بعدهما قال أستاذي الدكتور همام سلطان : انهم « أغلبية الفقهاء » (٦) . ولا شىء عليه فى ذلك لأكثر من سبب ، منها أن تعبير أغلبية الفقهاء لا يختلف أولاً يكاد يختلف — عن تعبير « الجمهور » ، بل ربما كان أكثر تواضعاً منه ، وربما عنى بذلك أستاذي « الفقه الحديث والمعاصر » فإذا كان ذلك قصده فهو على الحق ، وأعوت إلى المرحوم الشيخ خلاف وأقول : انه لم يذكر كذلك « مراتبة » ، خاصة وأن القول فى مسألة هامة ، ولو فعل لعرفنا شيئاً عن هذا الفريق الآخر ونفقتنا . وأضيف إلى ما تقدم أن ابن تيمية يتفق تماماً مع الفقهاء القدامى ، ولا يمثل

(٤) قلت : « فى حدود اطلاعى » ، وأقول هنا : ان صاحب المنار والشيخ خلاف رحمهما الله — أكثر الملأ منى بالفقه الإسلامى ، وقد سبق ائرد على ما استشهد به صاحب المنار وسنرى بعد أن ما استشهد به الشيخ خلاف من هذا الفقه ينتمى الى الرأى الأول . وهذا يؤيد ما ذهب إليه من أن الفقهاء القدامى فريق واحد وليس فريقين .

(٥) الشيخ غوشه — مقال له بكتاب المؤتمن الرابع لجميع البحوث الإسلامية بالأثر عام ١٩٦٢ ص ١٩٠ وما كتبه (فى معظمه) يتفق مع ما كتب الشيخ خلاف لفظاً ومعنى .

(٦) أحكام القانون الدولى فى الشريعة الإسلامية ، فبراير ١٩٧٠

معهم أى اختلاف أو شقاق . وهذا كلامه فى كتابه « السياسة الشرعية »
 « العقوبات التى جاءت بها الشريعة من عصى الله ورسوله نوعان : أحدهما
 عقوبة المذنب عليه من الواحد والمعد . . . والثالثى عقاب اللطافة الممتنعة
 كالتى لا يتدر عليها الا بقتال ماضل ، هذا هو بجهاد الكفار أعداء الله
 ورسوله ، فكل من بلغه الدعوة الى دين الله الذى بعث به رسوله فلم
 يستجب له ، فله يجب قتاله ، حتى لا تكون غلبة ويكون الدين كله لله
 (٣٩ — الأنفال) . ويمضى ابن تيمية فيقول : « وكان الله لما بعث رسوله .
 وأمره بدعوة الخلق الى دينه لم يأذن له فى قتل أحد على ذاك ولا قتاله
 حتى هاجر الى المدينة ، فاذن له وللمسلمين بقوله تعالى : « أذن للذين
 يقاتلون بأنهم ظلموا . » (١٣٩ و ٤٠ الحج) . ثم انه بعد ذلك أوجب
 عليهم القتال ، بقوله « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . . . » (٢١٦ البقرة)
 (وذكر ابن تيمية بعد ذلك الآيات ٢٤ التوبة و ١٥ الحجرات و ٢٠ الى
 ٢٢ محمد ، و ١٠ — الى — ١٣ من الصف ، و ١٩ — الى — ٢٢ من النوبة
 و ٥٤ المائدة و ٢٠ و الدال التوبة . ثم ذكر أحاديث شريفة كثيرة ثم قال :
 وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده أن يكون الدين كله
 لله . . . فعين منع هذا قول بانتمى المسلمين ، وأما من لم يكن أهل الجماعة
 والمثالة كالمناساء . . . فلا يقتل عند الجمهور من العلماء الا أن يقابل بقوله
 أو فعله . . ثم قال : « وأبغ الجهاد الواجب للكفار ، والممتنعين عن بعض
 الشرائع كما نعى الزكاة . . . يجب ابتداء ودفعها ، فإذا كلن ابتداء فهو فرض
 على الكفاية . . فلما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين ، فإن دفعه
 يصير واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لأعدائهم » (السياسة
 الشرعية . تحقيق د . على سلمى القشار وآخر ، الطبعة الثانية (١٩٥١)
 — الفصل الثامن بعنوان جهاد الكفار . القتال الفاضل ص ١٢٦)
 وما بعدها ، و ١٣٧ و ١٣٨) وانظر سابقا ههنا (٢) بند ١٦ . أما عما نقله
 الشيبى بخلافه عن الفخر الرازى عن « الموالاة » و « الاكراه فى الدين »
 فليس صريحا ولا مباشرا فى المسألة محل الخلاف . وليس هذا فحسب ،
 فإن الفخر الرازى فى تفسيره لا يخرج فى تفسير آيات القتال عن غيره
 من الفقهاء القدامى . ومن ذلك قوله : « ما السبب فى أن الله تعالى أمر
 أولا بقتال من يقتل ، ثم فى آخر الأمر أذن بقتالهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا »

قلنا : لان في اول الامر كان المسلمون قليلين ، فكان الصلاح استعمال الرفق واللين والمجاملة . فلما قوى الاسلام ، وكثر الجمع ، وأقلم من اقام على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حالا بعد حال ، حصل اليأس من اسلامهم ، فلا جرم أمر الله تعالى بقتالهم على الاطلاق « (انظر له : مثلث الغيب : المشتهر بالتفسير الكبير — الجزء الثاني ص ١٤٨ و ١٤٩ % تفسير الآية ١٩٠ البقرة) .

المبحث الثامن عشر

الجهاد

عند المودودي وسيد قطب

عرض ومناقشة

٣٣ — أما عن شيخنا المودودي فنأى أثقل رأيه في الجهاد عن « الظلال » للشهيد سيد قطب : (ص ١٤٤٤ وما بعدها) يقول (أي المودودي) : ان الاسلام يهدف إلى سعادة جميع البشر وفلاحهم ، وكل حكومة تقوم على غير فكره ومنهجه ، يقولوها الاسلام ويعمل على القضاء عليها ، أنه لا يقنع بجزء من الارض ، وإنما يريد لها لارتفاع عليها رايته ، ويعمها جميعها الحرية والمساواة والسعادة . فالجهاد — وهو دائما في سبيل الله — كلمة جامعة تشتمل على جميع أنواع السعى وبذلك الجهد ، ومن ذلك القضاء على النظم الجائرة وإقامة نظام جديد أساسه العدل الذي يستظل بظله كل البشر . ان الحق يأبى الحدود الجغرافية ، وإينما وجد الانسان مقهورا ، فمن واجب الحق أن يدركه وأن ينتصر له « (٧٥ النساء) . وان من واجب « الحزب المسلم » ألا يقنع بإقامة النظام الاسلامي في قطر بعينه ، بل عليه أن يبسط نفوذه حتى يدين سكان المعمورة بالاسلام الذي فيه سعادة الدارين اكل من يدخل فيه . وعلى هذا الحزب أن يحقق ذلك سواء بالدعوة ، أم بالقوة اذا اجتمعت له أسبابها وعناصرها ، ان عليه أن يفعل ذلك حفظا لكيانه ، اذ يصعب عليه العيش وسط نظم مخالفة ، وبالتالي متناوئة ، وعليه أن يفعل ذلك كذلك تحقيقا للصلاح العالمي العام ، وهذه هي رسالته .

٣٤ — أما الشهيد سيد قطب فانه يقرر (المرجع السابق ص ١٥٨٤

وما بعدها) (١) أن الآيات الست الأولى من سورة التوبة تد نضمت انبياء العقود بين المسلمين والمشركون فى الجزيرة العربية ، وانتهاء مبدأ التعاقد أصلا مع المشركون بعد ذلك ، بالبراءة المطلقة من المشركون ، وبإستئثار أن يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله . أن التجربة قد أثبتت أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياه : أولهما (وهو الإسلام) يقوم على عبادة العباد لله وحده ، والآخر يقوم على عبادة البشر للبشر وللآله المدعاة . أن المنهجين متعارضان أصلا ، وأن التعايش بينهما لا يمكن الا لاضطرابات اضطرارية تنتهى حتما . أنهما (بطبيعة كل منهما) لا يلتقيان : فمن طبيعة المنهج الإسلامى الأصرار على إقامة ملكة الله فى الأرض ، وتحطيم الحواجز المادية التى تحول بين الأفراد وبين حرية الاختيار الحقيقية . وإذا كان المنهج الإسلامى يصبر على إقامة ملكة الله فى الأرض ، فالمنهج الآخر حريص على سحق المنهج الربانى الذى يهدد وجوده (٢) . ويشير صاحب الظلال الى الاستثناء الوارد فى الآية الرابعة : « الا الذين عاهدتهم من المشركون ثم لم ينقصوكم شيئا . . . الى آخر الآية » ، ثم يقول : أنه الإبقاء على العهد الى مدته وأنه لا يغير من المبدأ العلم وهو براءة الله ورسوله من المشركون كائنة . ويقول : لقد أهمل الإسلام الموفين بعهدهم الى مدتهم ، مع حاجة الموقف الحركى للمجتمع المسلم فى ذلك النحين الى تخليص الجزيرة العربية بجملة من الشرك ، وجعلها قاعدة أمينة للإسلام الذى أخذ أعداؤه على حدود الجزيرة — الروم والفرس — يتالبون عليه . ويشير صاحب الظلال الى ما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد من أن الذين أهملوا الى مدتهم ، وكذلك الذين أهملوا أربعة أشهر قد دخلوا الى الإسلام قبل انتهاء هذه المدد وتلك — ويصل صاحب الظلال الى الآية الخامسة (آية السيف) ويقول : أمر الله المسلمين — اذا انقضت الأشهر الأربعة — أن يقتلوا كل مشرك أتى وجدوه ، أو يأسروه . أو يحصروه — اذا تحصن منهم — أو يقتلوا له متر صدين لا يدعونه يقات أو يذهب بإستثناء من أمروا بالوفاء

(١) كل الآيات التى تذكر فى هذا البند من سورة التوبة سبق ذكرها فى البند ٢٢ (يرجع إليها) .
 (٢) أن الأمس واليوم يشهدان أن الإسلام مستهدف ، وأن المسلمين مستهدفون من الصليبية والصهيونية والشيوعية والوثنية جميعا .
 (٦ — حقوق الإنسان)

لهم الى مقتهم . ثم يقول : غير أنها لم تكن حملة إبادة ولا انتقام ، ولكنها حملة أنذار ودفع الى الاسلام . ويضيف الى ما تقدم قوله : ان المشركين الافراد الذين لا يجمعهم تجمع جهاطي يتعرض للاسلام ويتصدى — يكفل لهم الاسلام — في دار الاسلام — الابن * (الآية السادسة) : « وان احد من المشركين استجارك فاجره ... » — ثم يمضى قائلا : « انما بجاهد الاسلام بالمسيف ليحطم القوى المادية التي تحول بين الافراد وسماع كلام الله ، ومعنى حبلهم هذه القوى يزال هذه العقبات ، فالافراد على عقيدتهم آمنون في كنفهم . ويتنقل صاحب الظلال رحمه الله الى الآية ٢٩ من التوبة » شاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ... الى آخر الآية « — ويقول عنها بعدها الى الآية ٣٥ — ان هذا المقطع من السورة يستهدف تقرير الأحكام الذهنية في العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب . والنصوص عامة في لفظها ونهايتها ، وهي تعنى كل أهل الكتاب (من كان منهم في الجزيرة ومن كان خارجها) . (بعكس المقطع الأول الذي تقرر الأحكام النهائية في العلاقات بين المسلمين ومشركي الجزيرة) . انه أمر بقتال أهل الكتاب المدخرين عن دين الله « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . وبعد ان سجل الشهيد سيد قطب ما كان من أهل الكتاب ضد الاسلام والمسلمين منذ البعثة وحتى اليوم — فقال : ان الصفات المبينة بالآية ، لأنها ذكرت على أنها امور واقعة في عقيدتهم ، وأنها مبررات ودوافع تلامر بتتال كل من تكون عقيدته وواقعه ، كمعقيدتهم وواقعهم . وهي فعلا — كما كانت واقعة بهم — واقعة بغيرهم منذ حبرغت الجاهل المتدهس دين المسيح عليه السلام . وقبلت بينوة عيسى وتثليث اللاهوتيم . على مدى التاريخ وحتى الآن . لن ما جاء بالآية أمر عام يقرر قاعدة مطلقة في التعامل مع أهل الكتاب (ومنهم اليهود الذين قالوا : عزير بن الله) . — فلا محل لتقييد هذا الأمر العام بأن المقصود هم الذين واقع منهم اعتداءهم فعلا ، فعلا اعتداء قائم فعلا بالاعتداء على الوهيبة ، الله ، وعلى العباد بتعبيدهم بغير الله . ان الآية ٢٩ تأمر بقتال أهل الكتاب الذين يقولون بينوة عزير الله (كما يقول اليهود) والذين يقولون بينوة المسيح الله كما يقول النصارى . لان من كان كذلك لا يمكن القول بأنه يؤمن بالله . والشروط الذي يشترطه النص للكف عن قتالهم هو ان يعطوا الجزية . انهم يصنفاتهم المبينة بالآية حرب على دين الله ، وحرب على المجتمع المسلم . والواقع التاريخي وحتى اليوم

أثبت أنه لا يمكن التعليل بين منهج الإسلام ومنهج هؤلاء . والإسلام دين الحقي الوحيد القائم في الأرضين - لابد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من طريقه ، وذلك لإنجاة الفرصة للأفراد للاختيار الحر ، من غير ضغط من المسلمين ، ومن هذه العوائق المادية . والوسيلة العملية لذلك هي كسر شبكة السلطات القائمة حتى تستسلم بإعطاء الجزية .

وعن الآيتين ٣٦ و ٣٧ (الأولى يسميها البعض آية السيف - والثانية هي التي جاء بها أن النبيء (الأرجاء والتأخير) ، « زيادة في الكفر » - يقول صاحب الظلال رحمه الله أن الآية ٣٧ تشير إلى أن العبث بالأشهر بالتقديم والتأخير هو من المعوقات المادية التي كانت قائمة في طريق الفرة لمحاربة الروم في غزوة تبوك ، كما أن هذه النصوص تعتبر أهل الكتاب مشركين ، وتضمنهم في العداوة والجهاد إلى المشركين ، ولذلك فإن الأمر قد جاء بقتالهم كافة (هؤلاء وهؤلاء) لأنهم يقاتلون المسلمين ويعادونهم ويتآمرون عليهم كافة . كما جاء في النصوص نهى عن القتال في الأشهر الحريم ، إلا إذا بدعوا بالقتال فيها .

٣٥ - أيدا مثقفية ما جاء في البعثين السنايقيين ، بهوثة نعيلى : « وما كان المؤمنون ليقتلوا تكلفاً ، بلولا نور من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١٢٢ التوبة) . « على الذين عيا الله لهم الأسباب ونالوا من العلم قدرا ما في لخصص ما ، أن ينقلوا علمهم ، وأن ينشروه في أوسع محيط مستطاع لهم . وكمثال العلم والمخل به (وبأي نعمة أخرى أنعم الله بها على عبده) أشم كبير . يقول تعالى في سورة النساء - الآية ٣٧ . « ان الذين يدخلون ويأمرون - الناس بالمخل ويكفون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » . وما جاء عن هذه الآية في تفسير ابن كثير : « الظاهر أن السيناقي في المخل بالمال ، وإن يكن المخل يعلم ، داخل في ذلك بطريق الأولى . هذا عن العظم - بدسفة عامة ، فما بالنا بالدين بالذات ؟ : وفي التنزيل الحكيم : « ادع إلى سبيل ربك بالحنكة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . (١٢٥ - النحل) . والجهاد أنواع : ومنه الجهاد بالقلم وباللسان . وفي عصرنا تعددت وسائل الإذاعة واليهب إلى الأدنى والأقصى من الأرض ، وفي وسع الهيئات

والمؤسسات والدول أن تصنع — باستخدام الوسائل التي أتاحها لها العلم والتقنية — الكثير والكثير (١) . ونحن المسلمين نؤمن أن كتابنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإن الاسلام خاتم الرسالات ، وأنه يحقق لمن يؤمن به ويعمل بقواعده سعادة الدارين جميعا . وأنه لغرض علينا ، نأتم أكبر الأثم لو فاتها — أن ندعو الناس كافة الى ديننا ، وأن تعمل على نشره في كل الأفاق . وانشاء « صندوق الدعوة واعداد الدعاة » واجب تحت كل الظروف ، ولا اظن أن دولة (أو هيئة أو مؤسسة) اسلامية ، تتوانى عن هذا الذي أراه أوجب الواجبات . لماذا لا نعين في كل سفارة من سفاراتنا في الخارج ، وهي منتشرة في كل الدنيا ، « ملحقا دينيا (٢) » ، ونحن معبرين في هذه السفارات الملحقين الاعلاميين والعسكريين والتجاربيين . . الى آخره . والاسلام والحمد لله — ينشر بذاته ، وبدعائه المتحليين بالحكمة وحسن الاسوة — في أنحاء كثيرة من الدنيا (في أمريكا وأوروبا وأفريقيا وغيرها) . ويحضرني الآن ما جناه في السيرة الشريفة عما حدث بعد صلح الحديبية : يقول تعالى في سورة الفتح (التي نزلت عقب صلح الحديبية) « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (الآية الأولى) ، ويقول « لقد صدق الله رسوله الرؤيا » . لاحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مطلقين رعوكم ومقتصرين لا تخلفون فاعلموا فاجعل من دون ذلك فتحا قريبا » (الآية ٢٧) — يقول الزهري (السيرة — نفسه ص ٣٢٢) : « فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه . انما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كتبت الهدنة ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا متفاوضوا . فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين (بين الصلح وفتح مكة) مثل من كان في الاسلام قبل ذلك بل أكثر . قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله (ص) خرج الى الحديبية — في قول جابر ابن عبد الله — في ألف وأربعمائة ، ثم خرج لفتح مكة في عشرة آلاف .

(١) في الماضي القريب قتلتم في إيران ثورة ، أسقطت عرشا من أقدم العروس ، وأقصت مضاجع أعداء الاسلام في الشرق والغرب جميعا . وقد قادها بنجاح آية الله الخميني ، وهو بمنفاه في فرنسا . قادها بكلماته وخطبه وفتاواه المسجلة على اشرطة الكاسيت وغيرها . وهذا نموذج يمكن ان نحتذى به في نشر الدعوة الاسلامية في كل زمان ومكان وفي مختلف الظروف ، وذلك « بالحكمة والموعظة الجسنة » والمجادلة بالتي هي أحسن . (٢) أو « اجابيا » أو « أمينا للشئون الدينية . . . » سبه ما شئت .

وأعود وأقول : أن صلح الحديبية كان « فتحاً مبيناً » وكان « فتحاً مبيناً » . قبل هذا الصلح كان الفريقان لا يكد أن يلتقيان حتى يقتتلا ، فلما كانت الهدنة ، كانت الفرصة للتفكير والفهم ، ثم كان الدخول في الإسلام وبكثرة وعن ادراك واقتناع . كان صلح الحديبية — كأنه استسلام من المسلمين للقريشيين ، ومع ذلك اتجه الناس الى المسلمين واعتنقوا دينهم ، ولو تكن العكس (أى لو كان المسلمون هم الذين فرضوا شروطهم على قريش) لقتل أعداء الإسلام : ما دخل الناس الا في دين الغالب ، وما حصلهم على ذلك الا الخوف والطمع في الدنيا . من هنا كان حرص الإسلام على فتح الطريق ، وتهيئة المناخ لحرية الدعوة . هل يعد ذلك يقال : ان الإسلام لم ينتشر الا بالسيف ؟ أو يقال مع القائلين حتى اليوم : ان حتى المسلمين — حين تجتمع لهم عناصر القوة ، أن ينشروه ، ولو بالسيف ؟ !

ويؤيد ما تقدم ويؤكد ما جاء في القرآن الكريم من أن الله — جل وعز — لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة ، وما جاء فيه كذلك من الدعوة الى العفو والصفح . وترك الأذى ، وما جاء فيه من المجادلة بالتي هي أحسن ، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة الى آخره ، وهو كثير ، وكثير جداً . ففي معنى أن الله — سبحانه وتعالى — لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة — نجد أن هذا المعنى ورد في مادة « شاء » في القرآن الكريم سبع عشرة مرة (١) . وفي معنى أنه ليس على الرسول (أو الرسل) الا البلاغ : انظر الآيات ٩٩ المائدة ، و ٢٠ آل عمران ، و ٩٢ المائدة ، و ٤ الرعد ، و ٥٤ النور ، و ١٢ التغابن (وهي كلها سور مدنية) . وانظر — كذلك — وفي معان قريبة مما تقدم الآيات ١٠٠ يونس ، و ١٠٨ و ١٠٩ من نفس السورة و ٤٥ ق ، و ٢٢ الغاشية و ٦٣ النساء ، و ١٠٧ الأنعام و ١٢ هود ، و ٥٦ القصص ، و ١٠٣ يوسف و ٤٨ الشورى و ٣٥ و ٨٢ النحل و ٥٤ النور و ١٨ العنكبوت ، و ١٧ يس ، و ١٢ التغابن ، وانظر للمؤلف : « الإسلام والدولة » النود ٤ و ٩ و ١٠ وله — أيضاً — الإسلام وحقوق

(١). انظر — على سبيل المثال — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد نؤاد عبد الباقي رحمه الله ، وانظر فيه كذلك : مادة « شئنا » ومادة « يشاء » وبهما آيات كثيرة بنفس المعنى . ان الآيات الكريمة التي جاءت بالمعنى (أو المعاني) المبينة بالتين تعز على الحصر .

الانسان» (البنود ٢٤٣ وما بعده) . «إلى آخره وأخيراً إلى هنا تقدم قوله تعالى في سورة يونس : « وأن كذبوك فقل لي عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأبائبرئ مما تعملون » (الآية ٤١) . (وبمنفس المعنى انظر سورة « الكافرون » وقوله تعالى : « ومن يرد الله فتنته قلن تهلك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر ظلهم ... » (٤١ — المائدة) . . إلى آخره ثم أثبت هنا الآيتين الأخيرتين من سورة براءة (٢) « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم خريص عليكم ، بالمؤمنين رعونف رحيم . فلن تولوا فقل حسبي الله ، لا اله الا هو غلبة توكلت ، واليه أنيب » . وفى مثل هذا المعنى جاءت الآية ٤٨ من سورة الأحزاب ، وهى : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم ، وهول على الله ، وكفى بالله وكيلا » (والأحزاب مخنية « ودع أذاهم . : « أى اترك مقابلة إذا ينهم لك بمثلها . وهو تعليم من الله تعالى لعباده : بالاحسان الى من أساء . (أوضح التفسير) ثم هناك قوله تعالى : « وقولوا للناس حسناً . . » (٨٣ البقرة) والآيات الكثيرة التى جاءت فى كتاب الله بهذا المعنى (٣) يعز حصرها هى الأخرى .

انه اذا كان القول بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اكره مشركى العرب على الدخول فى الاسلام — قد جانيه الصواب فيما ارى ، فان القول بنسخ الآيات السابق ذكرها ، وما جاء فى معناها (وبعضها نزل ممكنة ، وبعضها بالمدينة) قد جانيه الصواب هو الآخر . . ! (وانظر كلمة فى النسخ فى الملحق الثالث للكتاب) . ان مراجعة عروب الرسول عليه الصلاة والسلام يؤيد غير ما ذهبوا اليه (انظر ما سائفاً — المبحثين ١٥ و ١٦ وانظر « غزوات الرسول ومراياه » — المؤلف — طبعة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م ثم انه

(٢) انى فى غنى عن التذكير بالآيتين ٥ و ٣٦ من نفس السور ، والشئ يثال عن الأولى أو الثانية منهما ، أو هما معا « آية السيف » التى نسخت فشرأت الآيات (وربما ألمات) من القرآن الكريم . وفى القرطلى أن السورة مدينة باتفاق ، وكذلك فى النسخ .

(٣) لى بحث يحمل هذا العنوان « وقولوا للناس حسناً » (٨٣ البقرة) والبحث يذور حول هذا المعنى : اننا اذا كنا نطالب الحكام بعدم اساءة استعمال السلطة ، فاننا نطالب الامرين بالمعروف والنهي عن المنكر بعدم اساءة استعمال الحرية . . وطبع هذا البحث وغيره من هون بمشيئة الله .

من مراجعة التاريخ يتبين أن الحرب هي القاعدة ، وأن السلم من الاستثناء (انظر بند ٥ هامش ٣) . والحرب بالذات ، كانت اغارة بعضهم على بعض — قبل الاسلام — من مصائد رزقهم ، وممارسا لهم الميوية . وهم القاتلون والمتفخرون بما جاء في شعرهم (وشعرهم هو ديوانهم) ومن لا يظلم الناس يظلم « فالحرب مقروضة ، ولو لا دفع أهل الحق أهل الباطل لفسدت الأرض (٢٥١ البقرة و ٤٠ الحج) وفي الشعر العربي :

إذا لم تكن الا الأسنة مركبا . فما حيلة المضطر الا ركوبها

٣٦ — وأضيف الى ما تقدم ما يلي : —

١ — احترام المواثيق :

احترام اليهود قاعدة مقررّة ومؤكدة في الاسلام . والنصوص من القرآن والسنة في ذلك تروى على الحصر ، من ذلك ما جاء في الآية الاولى من سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . » ، ومنه أيضا قوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » (٣٤ الاسراء) (وانظر : مادة : « أوفوا » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) . ومنه أيضا ما جاء في الآية ٧٢ من سورة الانفال : « . . . والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لکم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروکم فی الدین فعلیکم النصر الا على قوم بینکم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصیر (وانظر الآيات ٨٨ — ٩٠ النساء) ومن الحديث الشريف : « وئنا لاغر » ومنه أيضا : « أصحوا اذا حدثتم وأوفوا اذا عاهدتم » ومنه كذلك ، ما نقض قوم العهد الا أدیل علیهم العدو . (وانظر زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٧٠) واذا تذكرنا أن انفال والنوبة سورة واحدة في بعض الأقوال . وأن الآية ٧٢ من انفال لا يفصلها عن الآيات الاولى من سورة براءة بسبب ثلاث آيات — أقول : ان هذا كله يوجب علينا أن نفكر مرة ومرة في معنى « البراءة » (من الله ورسوله) التي جاءت في أول السورة . ان هدم البراءة « من المشركين » في الآيتين الاولى والثالثة ، ومدة الامهال في الآية الثانية يأتي بعدها « الاستثناء » في الآية الرابعة : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينصوكم شيئا . . . فأنموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتدينين » وبعد الآيتين ٥ و ٦ (والاولى في قتال المشركين ، والثانية في اجارة من يستجير بالمسلمين تأتي الآية السابعة ، وفيها يقول تعالى : « كيف يكون للمشركين

عهده عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين » . والاحظ هنا ان عبارة « ان الله يحب المتقين قد تكررت فى الآيتين ٤ و ٧ ، واضيف انه يجب استمرار العهد حتى نهاية المدة ، وإلا كانت المدة ولو طالمت فيها ارى ، ويؤيد هذا قوله تعالى : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم (١) » ، ويعنى هذا امكان تجديد العهد وتبديده ، ماداموا مسلمين لنا ، ومستقيمين معنا . واقول هذا ردا على هذا الجانب من الفتنة الذى ذهب الى ان المدة يجب ألا تزيد عن كذا أو كذا من السنين ، حتى لا يعطل فرض الجهاد ، بمعنى مقللة المشركين ابتداء حتى لا تكون فتنة (أى شرك) مادام بالاسلام والمسلمين قوة وقدره على ذلك . وقد سبق أن ذكرت حديث البخارى (بند ١٦) : وفيه أن المقصود بالفتنة تسلط غير المسلمين على المستضعفين من المسلمين لحملهم على تغيير دينهم . وهذا يعنى أخيرا أن ما جاء فى الآية الخامسة من سورة « براءة » وما جاء فى الآيات الأخرى المماثلة لها انها المقصود به « المشركين الناكثين للعهد مع المسلمين » — أما من عداهم فالحكم هو فيها سبق أن بيئت . والله اعلم . وفيما يأتى من فقرات يؤيد ما نقدم ويؤكد .

ب — الأمل النجوى الذى راود الموحودى وسيد قطب من أن تكون كلمة الله هى العليا فى كل العالم أهل يجمعونها جميعا لاننا جميعا نؤمن أن الاسلام هو الدين الخاتم وهو الدين الحق ، وقد أظهره الله (٢) على الدين كله مى صدر الاسلام ، وسيظهره على الدين كله فى المستقبل . بيان منه . ان العالم

(١) ويقوى هذا التفسير ما أشرت اليه فى بداية هذه الفقرة من نصوص قرآنية وفبوية عن احترام العهد وقداسته فى الاسلام . وانظر ما سيأتى بند ٣٨ وفيه « قال أبو الخطاب : ظاهر كلام أحمد أن عقد المهادنة يجوز على أكثر من عشر سنين على ما يراه الإمام من المصلحة » ، وأن ما جاز فى العشر جاز فى الزيادة عليها ، لأن المصلحة قد تكون فى الصلح أكثر مما تكون فى الحرب . وفى نفس البند تجد (أن المفهوم من السياق) أن هذا نفسه هو رأى مالك وأبى حنيفة .

(٢) ظهور الاسلام على الدين كله — كما كان الحال فى صدر الاسلام — ليس معناه أنه لم يكن هناك ، ومع ، دين سواه ، انها معناه أنه كان الدين الغالب والظاهر ، وأن دولته كانت غالبة ، ومخشبة الجانب (انظر حديث البخارى — بند ١٦) .

كله في رعب وكرب وهو في شوق وحرص للفرار من الجوع والخوف ، وهو في شوق وحرص على الحرية والعدل ، وهذا كله سيحقق حين يكون اتعبد الله ، ولا شيء سواه . ونحن نعرف جميعا أن الدعوة إلى الاسلام ، وفي مختلف الظروف ، فرض (انظر البندين ٣٥ و ٣٧) . وفيما يلي سبذكر بعض العبارات للمودودي وسيد قطب وتفسير المنار والشيخ محمد عبده والشيخ خلاف ، وسأحاول أن ألقى عليها بعض الضوء ، أنرى ما قد يكون بينها من تشابه أو تقارب أو فروق : يقول المودودي : أن على المسلمين أن يعملوا — **سواء بالقوة أم بالقوة** — (إذا اجتمعت لهم أسبابها ، حتى يدين سكان المعمورة بالاسلام . ويقول سيد قطب أن على المسلمين — حين يصيرون في الظروف التي كانوا عليها عند نزول سورة براءة — أن يعملوا على إزالة العوائق المادية من طريق الدعوة ، بمجاهدة أئمة الكفر والطغاة : ومقاتلتهم ، وابتداء ، وليس ذلك لأكراههم أو إكراه أتباعهم على الدخول في الاسلام ، وإنما لتهيئة حرية الاختيار للأفراد ، الذين سبتمتعون بالأمن في كنفه ولو رفضوا منهج الله . وفي تفسير المنار للآيات (١٩٠ — ١٩٤ من سورة البقرة ٢٤ ص ١٦٧ وما بعدها) — قال الأستاذ الأمام (الشيخ محمد عبده) في تفسير الآية ١٩٣ — « وقابلوهم حتى لا تكون فتنة . . » أي قاتلوا هؤلاء الذين بدعوكم بالقتال (كما جاء في الآية ١٩٠) حتى لا تكون لهم فتنة يفتنونكم بها ويؤذونكم لأجل الدين ويمنعونكم من اظهاره والدعوة إليه . « ويكون الدين لله » أي يكون دين كل شخص خالصا لله ، لا اثر لحشوية غير الله فيه . وجاء في نفس التفسير عن الآية ١٣ — براءة « الا قتلون قوما نكوا ايمنهم . . » « كان قتاله (ص) مدافعة عن الحق واهله ، وحماية لدعوة الحق — ولذلك كان تقديم الدعوة شرطا لجواز القتال — فإذا منعنا من الدعوة بالقوة فعلينا أن نقاتل لحماية الدعوة ونشر الدعوة لا لأكراه في الدين (٢٥٦ البقرة و ٩٩ يونس) (وانظر البند ٢١ من هذه الدراسة) . وفي رسالة التوحيد لإمام الشيخ محمد عبده — رحمه الله — قال : « انها شهر المسلمين سيوفهم دفاعا عن أنفسهم ، وكفا للعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك . . . قاتلوا : كان لا يخلو من غلب ، قلنا تلك سنة الله في الخلق ، لا تزال المصارعة بين الحق والباطل . . قائمة في هذا العالم الى أن يقضى الله قضاءه فيه . إذا ساق الله ربيعا الى أرض جديدة ليحيى ميتها . . . فينقص من قدره . أن أتى في طريقه على عقبة فعلاها ، أو بيت رفيع فهو به . . . لا وفيه

السلسلة الشرعية « للمرحوم الشيخ خلافة ص ٧٠ » ان الاستسلام يوجب على المسلمين قتال مخالفيهم في الدين اذا اعتدوا على المسلمين أو وقفوا عقبة في سبيل الدعوة الإسلامية ليجولوا دون بشها ، فحينئذ يجب القتل دفعا للعدوان وحماية للدعوة .

أقول : ان عبارة الموهوبى رحمه الله تكاد تضعه في صف واحد مع الفقه السابق على عصر الانام ومحمد عبده ، وهو الفقه الذى يرى أن نشر الدعوة يكون بالسنان ، كما يكون باللسان . (وفي المبحث الرابع عشر توضيح للمهلوى وتبرير لهط : المآلى) : انما هي ذهب إلى ان الفقيه سيد قطب فائمه يختلف عن الفقه القديم في الطغياء ، وفي هذه الأشياء يتفق مع الفقه الحديث والمعاصر أو يكاد ، عالفقه القديم (أو أغلبه) يقول بأن الآية ١٩٠ من سورة البقرة قد نصطحتها سورة براءة (انظر المبحث السادس — مراحل القتال) ، أما صاحب الظلال فله في ذلك رأى مغراه بعد . كذلك فان الفقه القديم يذهب (أو أغلبه) إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أكره مشركى العرب على الاسلام . (انظر : الملحق الخامس) أما صاحب الظلال فيذهب الى قتال ائمة الكفر والطغيان حتى يحقق للأفراد حريته الاختيار . غير أن مقاتله هؤلاء من الطغاة ابتداء ، ودون عدوان يتبع منهم — على ما ذهب اليه صاحب الظلال يختلف عما اطلعت عليه من آراء المحدثين والمعاصرين : — فعبارة « منع نشر الدعوة بالقوة (تفسير المنار) — وعبارة : « وقوف المخالفين في الدين عقبة في سبيل الدعوة وبها — (الشيخ خلافة) — مما يوجب على المسلمين مقاتلة هؤلاء المانعين والمخالفين يستندان الى ما حدث في تبوك ، ومن قبلها في مؤتة . فبسبب هذه الأخيرة هو ما حدث من اعتداء على الدعوة والدعاة من بعض ولاة الروم ، وفي تبوك حدث أعداء للاعتداء على المسلمين من الروم . وقد استمر المسلمون والروم في حالة حرب الى ما بعد مؤتة وتبوك : (وانظر المؤلف « غزوات الرسول وسراياه — طبعة ١٤٠٩ هـ مسلسل ٦٤ و ٨٠) — أما عما ذكرته عن رسالة التوحيد ، من قول الامام : « ١٠٠ ثم كلن الانتاح . . الى آخر العبارة ، فالسبيل يشير الى أنه يقتصد بذلك ما كلن في بعض العصور (بعد عصر الرسول) .

وملأنا بصدد مقارنة آراء الشهيد سيد قطب في موضوع « الجهاد » وتحديد مكان هذه الآراء بين الفقهين القديم والحديث ، فلا تفوتنا الأشرفا

الى أنه بذهب الى أن المقصود بقوله تعالى : « حتى لا تكون فتنة . . . » (١٩٣ البقرة و ٣٩ الانفال) — يذهب مذهبنا ينفلق من آرائه السابق ذكرها ، ففي ص ١٥٠٨ من الظلال — على سبيل المثال — وبعبارة نفسية الآية ٣٩ الانفال « وقابلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . . » — يقول : ان الآية تقرر حكما دائما للحركة الاسلامية في مواجهة الواقع الجاهلي . لقد جاء الاسلام ليكون اعلانا علنيا لتحرير الانسان في الارض من العبودية لغير الله ، ومن العبودية لهواه ايضا . ولابد لتحقيق هذا الهدف الضخم من امرين أساسيين : أولهما دفع الأذى والفتنة عن معتقدون هذا الدين ، . . . وثانيهما تحطيم كل قوة في الأرض تقوم على أسس عبودية للبشر للبشر . . . وان الذي يعنيه قوله تعالى : « ويكون الدين كله لله » هو إزالة الحواجز المادية المظلمة في سلطان الطواغيت . . . الى آخره » (وانظر — أيضا وعلى سبيل المثال ض ١٥٩٢ منه) .

ج — تهمل الآية ١٩٠ البقرة : « فقاتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم » . رحلة ونسعى من مراحل الجهاد عقد الفقهاء القدامى (أو أغلبهم) وعند صاحب الظلال ، أنهما في هذا يتفقان لكنها يختلفان بعد ذلك في أمر هام : فالقدامى (أو أغلبهم) يفسر الى نسخها بصورة براءة (انظر التفاصيل بالبحث السادس) : أما صاحب الظلال رحمه الله فيقول : في أكثر من مكان من التفسير (انظر — على سبيل المثال — ص ١٥٨٠ و ١٥٩٢) — أن تلك الأحكام المرحلية (ومنها الحكم الذي تتضمنه الآية ١٩٠ البقرة) ليست مقبوضة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة . ان هذه الظروف هي التي تحدد — عن طريق الاجتهاد المطلق أي الأحكام أنسب الأخذ به في ظرف من الظروف ، مع عدم تعيين الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار اليها متى أصبحت الأمة المسلمة في نفس ظروف نزول سورة التوبة وما تلاها من مقومات ، سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب .

وكاتب هذه السطور يقول بأن الآية ١٩٠ البقرة تمثل مرحلة نهائية ، غير انى — وبمناسبة احالة صاحب الظلال موضوع تقدير الظروف لتطبيق هذا الحكم أو ذاك الى الاجتهاد المطلق لا يفوتنى أن أشير الى أن لهذه المسائل — ومثلها كثير كالتجزية ونحوها — جوانبها السياسية والعسكرية وفي سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام أحداث ونصوص تؤكد ذلك

كما حدث — وعلى سبيل المثال — فى غزوة الأحزاب اذ شرع يفاوض بعض زعماء القبائل الكبيرة التى كانت تحاصر المدينة فى الانسحاب مقابل جزء من تمرها ، لتخذيّل الباقيين . . الى آخره ، أما عبارة « عن طريق الاجتهاد المطلق » التى جاءت فى الظلال ، فالى عليها تعليق ذلك أن الاجتهاد — فى هذه الشؤون وغيرها ، يكون مطلقا ، فى الشرائع الوضعية أما فى الشريعة الإسلامية ، وهى شريعة سملوية ، فالاجتهاد — غلما بجوز غيه الاجتهاد فيها — مقيد بما جاء فى الكتاب والسنة . (وانظر للتؤلّف — الاسلام وحقوق الانسان — بند ٣٠٦ وما بعده) .

د — وأضح مما ذكرت فى الفقرتين «ب» و «ج» من هذا البند أن هناك فروقا واضحة بين ما ذهب اليه الفقهاء القدامى من جهة وما ذهب اليه الشهيد سيد قطب من جهة أخرى . لكنه (اى سيد قطب) والمودودى كذلك يلتقيان مع الفقهاء القدامى والمتأخرين الى ما قبل عصر الامام محمد عبده — فى القول بأن الآيات الأولى من سورة براءة قد جاءت بأحكام جديدة فى موضوع الجهاد (القتال فى سبيل الله) ، وهذه الاحكام تمثل مرحلة ثالثة من مراحل (انظر لابندين ١١ و ١٢) ، وفى الرد على هذه النقطة التى تلتقى فيها آراء العلامة المودودى والشهيد سيد قطب والفقهاء القدامى — أضيف الى ما تقدم من حجج فى البؤود ٢٩ و ٣٥ وما بعده — ما جاء فى الآيتين السابعة والثامنة من سورة الممتحنة (بند ٢٤) ، وكذلك ما جاء على لسان بعض أهل التفسير من أن الآية الرابعة من سورة محمد تاسخة للآية الخامسة من سورة التوبة (آية السيف بند ٢٣) — أضيف هذا الى كل ما تقدم مما يدعم الحكم الصريح الذى جاءت به الآية ١٩٠ من سورة البقرة ، وهى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » — والآية محكمة ، والحكم الذى تقرره يمثل مرحلة ثانية ونهائية من مراحل الجهاد (القتال فى سبيل الله) . والله أعلم .

المبحث التاسع عشر

الجهاد والحاضر والمستقبل وخريطة الواقع

٣٧ — أعود الى ما ذكرته فى الفقرة (ب) من هذا البند حيث يقول صاحب الظلال انه حين تجتمع الظروف التى كانت قائمة عند نزول سورة

التوبة فعلى المسلمين أن يقوموا بتحطيم القوى المادية (أى أئمة الكفر)
 أى الحكام المستبدلين) (ولو بالسيف) وابتداء ، ودون عدوان منهم على
 المسلمين حتى نزول العوائق ، ولا يبقى هتك ما يحول بين الأفراد وبين
 سماع كلام الله . أقول : اذا واجهنا تفاصيل هذه العبارة العامة على أرض
 الواقع (واقع المسلمين اليوم وغدا) فما هى الصور التى تبدو ؟ والنتائج
 التى تترتب ؟ لقد قلت قبل : ان للجهاد شغلة يجب أن تبقى حية فى قلب
 كل مسلم . فعلى الفرد المسلم ، وعلى الجماعة ، والجماعات المسلمة ،
 أن يجاهدوا أنفسهم أولا ، وأن يجاهدوها ثانيا وثالثا لى يحققوا كأفراد
 وجماعات ما يجب أن يكون عليه المسلمون أفرادا وجماعات . علينا — الى
 جانب التقوى ، أن نحقق كل أسباب القوة . ولا تقوى مع التبعيد لغير الله ،
 ولا قوة مع التفرق : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... »
 (١٠٣ — آل عمران) ولينتنا ، وليت حكمتنا بالذات ، لمتنا جميعا — لكن
 نخرج من المازق ، بل المازق التى تحيط بنا — نستحضر — دائما — هذا
 الشعار : الذى نحن بأشد الحاجة اليه : لنعاون ، وبكل ما نملك ، فى كل
 ما نتفق فيه ، ولنعبر بعضنا بعضا فى كل ما تختلف فيه . ولينتنا . ويتدن
 ما نستطيع — كحكومات ، وشعوب وهيئات وأفراد — نعمل — فى جهد
 لا يفتر ولا يقطع — للبناء ، وبناء الناشئة والشباب والرجال والنساء ،
 وبناء الاقتصاد ، وبناء الجسور التى تربطنا بكل امنا ، وبناء الجيوش التى
 ترهب عدو الله وعدونا — أن طريقنا — ان صدقت نيئتنا وعزمنا
 لى نصبح دولة عظمى — منتوح . ولنأخذ بأسباب التكامل
 والنواصل وتوحيد الصف ، وخاصة فى العلاقات الخارجية والمواقف الدولية

ومع ذلك فانه رغم ضعف مسلمى اليوم فى بلادهم فان الاسلام ،
 وبلا أى قهر — ينتشر بذاته ، وبفضل الله وبعض دعائه ، فى أوروبا
 الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلاد المفتوحة التى تؤمن
 بالحرية وتمارسها . وينتشر — كذلك — وبذاته فى أفريقيا وغيرها (١) .

(١) انظر — على سهيل المثال — ص ١٥ أهرام ١٩٨٦/٦/٢ — تحت
 عنوان : — فى ليبيريا ينتشر الاسلام رغم وجود الفرق الضالة . ومما جاء
 فيه : ان ليبيريا ، وهى بغرب أفريقيا ، وعدد سكانها حوالى المليونين ، ونسبة
 المسلمين فيها ٥٥ ٪ . وقد دخلها الاسلام منذ خمسمائة عام . وفى السنوات

وعليها ، وفي نظرونا ، أن يوحد الجهود ، وأن تخضعها بالتشأن صندوق الدعوة والدعاة كما سبق أن ذكرت (بند ٣٥) : هذا عن اليوم ، فمأذا عن الغد ، حين يصبح (٢) المسلمون قوة دولية عظمى ، مناعسى يكون موقفهم من نشر الدعوة وحملتها ؟ أقول : إن المسلمين اليوم — وعددهم حوالى البليون نسمة ، ولديهم كل مقومات القوة وعناصرها ، ومنها الموارد الاقتصادية الضخمة — أهل لأن يكونوا هذه القوة العظمى . والخطوات الاولى الى ذلك هى أن ينتقل الحكم الى الشعوب فتجكم نفسها بنفسها ، وعلى نور من شريعته . ويومئذ ، سيكون منهم — وهم أمة واحدة — نوع من الاتحاد الدولى ، أو الدستورى — يقوم بالتنسيق والتقريب وتوحيد الصف والكلمة ، وخلصه فى المجال الدولى . وبالتكامل بين دولهم وشعوبهم ، وفى مختلف المجالات والميادين ، سيتعزز — على السنين — كيانهم ، وتطرده نحو الوحدة فيسيرتهم ، وأعيد المسؤول : ماذا سيكون موقفهم — وهم قوة عظمى — من نشر الدعوة وحملتها ؟ أو من "إيجابا قويا" من العالم كله سيكسب كثيرا ، بل أنه لإخلاص العالم مما هو فيه ، إلا بظهور الاسلام والمسلمين كقوة دولية عظمى تطبق شريعة الله ، شريعة العدل ، والعدل المطلق ، فى ميادين العلاقات . يومئذ سيدخل الناس فى دين الله أفواجا ،

العشر الأخيرة ، انتشر بصورة كبيرة ، وذلك لاتفاق مبديء الإسلام مع الطبيعة الانسانية كما أنه دين العدل والمساواة والتكافل ومكارم الاخلاق ... وهذا رغم المعوقات الكثيرة ، وقلة امکائيات ، ونشاط التبشير والفرق الضالة . وقد صرح الداعية الاسلامى الشيخ محمد بشرى بارى ، وهو من ليبيا ويوزن القاهرة حاليا — بأن أفضل السبل لوحدة الأمة الاسلامية هو اتحاد العالم العربى .. الى آخره .

(٢) فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان المسلمون — أول الامر — قلة ، وكذلك كانوا فى جروب الردة ، حتى وصفهم كتاب السيرة بأنهم صابروا — لفقد نبيهم وتآلب العرب عليهم كالجفيمات فى الليلة المطيرة . وانظر وقارين ص ٤ اهرام ١٩٨٦/٦/١٩ تحت عنوان : المسلمون مليار . والخبر من عمان : توقعات منظمة المؤتمر الاسلامى فى تقرير لها نشرته الصحف الاردنية . أمس أن عدد المسلمين فى العالم سيبلى فى نهاية هذا القرن مليار نسمة . وجاليا يوجد ٨٠٠ مليون مسلم و ٤٥ دولة اسلامية فى العالم . وفى ص ٢ اهرام ١٩٨٦/١١/٣ انهم ربع سكان العالم ، أى ١.٠٠٠ بليون .

وعن اقتناع وليس بأي وسيلة أخرى . ويومئذ لن تشكو الامليات الاسلامية
فى اى دولة مما يشكو منه اليوم ، فهزة الدولة الاسلامية وقوتها فى لداخل
والخارج سيكون خير سلاح يرهيب عدو الله وعدوها . واذا فرض ، وركبت
دولة ما رأسها ، واضطهدت الاقلية الاسلامية فيها وقتلتها دى دينها .
كما تفعل بلغاريا وغيرها اليوم . فلن تقتف الدولة الاسلامية المعظمى مكتوفة
الايدي ، كما يفعل مسلمو اليوم ، وهم كثيرون ، لكنهم كغشاء السيل ،
اجبوا الدنيا وخافوا الموت ، وهبكت عليهم أنفسهم ، فهاتوا فى منظر غبرهم .
وانى لقرر ، ودائما — ان المسئولية — وفى المقام الاول — تقع على الحكام
قبل الشعوب . ان العلاقات الدولية اليوم تعالج بطرق تختلف عن طرق
الأمس القريب والبعيد . . . وهناك قليل الإلحاح الى السيف ومسايل مختلفة ،
كأشاره الراى العام العالى وقطع العلاقات السياسية ، وتوقيع عقوبات
اقتصادية . . . الى آخره . . . والهيئة الدولية ، لدولة عظمى وعادلة ، تكفى
لمنع شر كثير . . ! فاذا استفندت كل الوسائل السلمية ، فلا وسيلة الا
لجاء فى الآيتين ٧٤ و ٧٥ من سورة النساء والآية ٧٢ الانفال (٣) . والله

(٣) الآية ٧٢ الانفال : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأنفسهم
وانفسهم فى سبيل الله ، والذين اؤوا ونصروا ، اولئك بعضهم أولياء بعض
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان
استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثق ، والله
يما يعملون بصير » وفى أوضح التفاسير « وان استنصروكم فى الدين »
أى طلبوا معاونتكم على اعدائهم من أجل الدين « فعليكم النصر » أى فواجب
عليكم نصرهم ومعاونتهم « الا » اذا كان استنصارهم بكم « على قوم بينكم
وبينهم ميثق » أى عهد . يعنى انما يجب عليكم ان تنصروهم اذا استنصروكم
فى الدين على الكفار الحربيين دون المعاهدين . فهولاء يجب الوفاء
بعهودهم ، لان الاسلام لا يبيح الغدر والخيلة بنقض العهود (وانظر —
كذلك — تفسير المنار ج ١ ص ٩٧) ويقول صاحب أوضح التفاسير . وهذه
الآية تعتبر دستوراً دولياً سامياً . . (وانظر ما جاء فى المنار (نفس المرجع)
فى ذات المعنى . وانظر كذلك وقارن بما جاء « فى ظلال القرآن » لتشهد
سيد قطب — المجلد ٣ — دار الشروق ص ١٥٥٩) . أما الآيتان ٧٤ و ٧٥
من سورة النساء فهما : « فليقتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة
الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً
عظيماً . وما لكم لا تقتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون : ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل
لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

يغالب على أمره ، ينصر من ينصرم ... وهنالك فرض آخر ، وهو إذا أردنا نشر الدعوة (ونحن دولة عظمى) ، في شعب ما تحكمه حكومة استبدادية ، تعوق دعوتنا ، وأي دعوة أخرى للحق والعدل والحرية ؟ فيها عسى أن يكون موقفنا ؟ أقول أولا : ان الاستبداد في طريقه الى الانقراض ، وان النصر في النهاية سيكون للحرية . وسيكون في المستقبل القريب باذن الله ، وأقول ان الزمان قد تغير . وهناك أكثر من وسيلة لنشر الدعوة ، دون حاجة الى بعث الدعاة والبرسل ، هناك الكلمة المكتوبة في الكتب والصحف ، وهناك الدعوة عن طريق الاذاعة السمعية والمرئية ، وهناك وسائل سلمية كثيرة لا حصر لها . وقد بدأ عصر الكمبيوتر الذي سيهيء لدعوة الحق طرقا أقوى وأكثر (٤) . والبث والنشر يكونان بلغات من نريد دعوتهم . واعداد دعاة

(٤) اني أعلم ان ما يسمى بالدول العظمى — في زماننا — تكذب بأفعالها أقوالها وخاصة في العلاقات الدولية . ومع ذلك مان سمر « حقوق الانسان » قد بدأ ، وأن دور الهيئات التي تدافع عن هذه الحقوق ، ومن ورائها الرأي العام العالَم العالَم — يتعاظم يوما بعد يوم (وهذا واضح في قضايا مختلفة ، ومنها قضية الحكم العنصرى في الجنوب الافريقى) . ونرى استطاعة الدولة الاسلامية العظمى الممولة (والتي تحارب قيامها ، وتحارب الوسائل اليها ، قوى مختلفة —) في استطاعتها — الى جانب الوسائل السلمية انسبق ذكرها — استخدام وسائل أخرى ذات فاعلية كالمقاطعة الاقتصادية والسياسية الى آخره ضد الدول الاستبدادية التي تقيم العوائق ضد دعوا الحق والعدل . وأضيف : ان دول الباطل (وكل ما عدا الله باطل) تلجأ الى وسائل مختلفة لنشر مذهبها . فالدول الغربية (وهى بلاد مفتوحة) تقف الى جانب ثقافية التضامن في بولندا ، والى جانب ما يسمى « بالمشركين » في الدول الشيوعية الأخرى ، أى الى جانب « حقوق الانسان وحرية » في هذه وتلك . والدول الشيوعية (وبخاصة الاتحاد السوفيتى) ، لها وسائلها في الغزو من الداخل واصطفاع العملاء الموالين لها ، ثم دعمهم بكل الوسائل ، وهكذا تمكنت من اقامة حكومات ماركسية في أنجولا. وعدن والقرن الأفريقى . الخ . والدولة الاسلامية الكبرى المنتظرة — وهى دولة الحق : التي لا تتخذ الا الوسائل لاشريعة ، للاهداف العظيمة القائمة على التمسك للوحدة ، والرامية الى تحقيق المساواة والحرية والعدل بكل صوره ، وفي العلاقات الداخلية والدولية سواء بسواء — ستطبع أن تتجاوز العوائق المادية ، والحكومات الاستبدادية ، وأن تنشر الدعوة ، بالنشاط الحركى ودون حرب . ان الحرص على النصر ، ودون حرب سبة بارزة في هذا العصر ، (عصر الرعب النووى) .

يعرفون اللغات المختلفة ؛ أو يعرفون الأهم منها . واجب ، وهو أمر يمكن
فى كل الظروف (٥) والاجواب .

أريد أن أقول ؛ أنه لا يصبح فى النهاية إلا الصحيح . وعلى المسلمين —
أولا — أن يغيروا ما بأنفسهم ، حتى يصبحوا مسلمين حقا ، قولا وقائلا
وعملا . عليهم أن يتحدثوا ، وأن يعتصموا بجيل الله ولا يتفريقوا . وعليهم —
ثانيا — ألا يقصروا فى واجب الدعوة إلى دينهم ، وبالوسائل المتاحة لهم ،
والمناسبة لظروفهم وظروف مبرهم . هذا ، وفى الفترة الأخيرة بدأ الإيجاد
السوفيتى فى سحب قواته من أفغانستان . ومع الثقة فى الله الذى ينصر
من ينصره ، ومع انتظار انتصار المجاهدين وتطهير الأرض الأفغانية من رجس
الأحتلال السوفيتى ، إلا أننا مازلنا فى انتظار النهاية التى سيندوون بسعيدة
بإذن الله . . وفى الفترة الأخيرة — كذلك — نأجأ الزعيم السوفيتى جورباتشوف
الجميع فى داخل بلاده وخارجها ، بسياسة جديدة ، أسماها « إعادة البناء »
وفى كتاب له تضمن هذه السياسة ، شجيب ، وبقوة ، التطبيق الخاطئ
للأستراتيجية ، وقال فى نقده لهذا التطبيق ما قاله النقاد المنصفون فى كل
ما كان يجرى هناك ، وقد كان لهذه السياسة الجديدة صداها الإيجابى فى
« دول الشرق الشيوعى » . أن الدول الغربية تتجه — بصفة عامة — نحو
الأستراتيجية ، وأن الدول الشرقية تتجه — بصفة عامة — نحو الجرية السياسية
أى أن هؤلاء وهؤلاء يتجهون — وسيلتقون ، عندما دعا إليه الإسلام من
« الشورى الحقيقية والعادل الإجتهادى » (وهذا ما أثرت إليه فى كتابى
« الإسلام وحقوق الإنسان — دراسة مقارنة ، الذى ظهرت طبعته الأولى منذ
أكثر من اثنى عشر عاما .

فى أهرام (٢٦/٢/١٩٨٨) (ص ١٣) « لأول مرة فى اليابان ، مؤتمر
التعريف بالإسلام وموقفه من قضية السلام ، يحضره خمسة آلاف من غير
المسلمين » ، ومن للمناوين التى جاءت فى رسالة اليابان — بقلم محمود
مهدى « المؤتمر يكشف عن قصور المسلمين فى التعريف بدينهم ، ورغبة
العالم فى معرفة الدين الذى يتبعه الآن أكثر من ألف مليون نسمة » . وما
جاء فى الرسالة : « الأقبال على معرفة الإسلام فى اليابان شديد . ويقول الأستاذ
مهدى فى رسالته (وقد كان أحد أعضاء وفد مصرى إلى المؤتمر) : « لقد

(٥) : الدعوة — دائما — لا يكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٧ — حقوق الإنسان)

لاحظت ان المسلمين غائبون تماما ، وارجو الا يطول هذا الغيب . وقد
كلن الاستاذ مصطفى محمد كامل مراد عضواً في نفس الوفد ، وقد نقل الى
من المعلومات ، وأحضر من المطبوعات المكتوبة بعدة لغات (منها العربية
واليابانية) ما يبشر بالخير .

ب — الانتفاضة الفلسطينية ، التي مضى عليها حتى الآن أكثر من
عشرة أشهر وشدت انتباه العالم واهتمامه أكثر من أى وقت مضى الى حقوق
الشعب الفلسطيني ، والى الهمجية والوحشية واللاإنسانية التي تجرى في
دماء الصهاينة . ان الحق الفلسطيني في حجة الى قوة ، والانتفاضة قوة .
ونرجو ان تدفع هذه الانتفاضة الشعوب العربية والاسلامية فتقدم للمجاهدين
كل عون . وعلى حكومات هذه الشعوب ان تدع القتلى الى النازر ،
وانبخل الى البذل . ان الفلسطينيين يجب ألا يقتلوا — في ساحة الجهاد —
وحدهم ، يجب ان يشعروا بأن كل العرب والمسلمين ، وأن كل أنصار الحق
والسلام — معهم ، ليس بالبيشات والخطب وحدها ، ولكن بالبذل بالاموال
والارواح كذلك . ولست بحاجة الى ان اهتف بكل القوى والاتجاهات الفلسطينية
ان يوحدوا صفوفهم وكلمتهم . فالقضية مصرية ، وهى قضية الفلسطينيين
والعرب والمسلمين وكل الاحرار في كل مكان . « ولينصرن الله من ينصره ، ان
انله لقوى عزيز » (٤٠ — الحج) .

ج — وتذكيراً بالمنهج الاسلامي، أثبت هنا الآيتين ٦٠ و ٦١ من الأنفال، ولى
بعد ذكرهما تعليق جد بيسير : يقول تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دولتهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون .
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم »
اقول : في الآية ٦١ دعوة الى السلم ، وفي الآية التي قبلها ، أمر بالاعداد
والاستعداد ، والاتفاق في هذا وذلك ، انه اتفاق في سبيل الله . وأول
ما يتبادر الى ذهني أن الأمر بالاعداد والاستعداد والاتفاق ، انها هو لارهاب
الاعداء ، وما أكثر الاعداء . وفي اتصال الآيتين احدهما بالآخرى اشارة
ظاهرة — فيما يبدو لي — اني ان الاعداد والاستعداد والاتفاق هو خير سبيل
الى السلم ، واستقرار السلم . ان الاستعداد « للحرب » كما قلت دائماً —
اننى للحرب . وفي الحرب العالمية الثانية (وقد عاصيرناها) أغرى هتلر

ودفعه الى الحرب والعدوان ، يقينه من عدم استعداد الفزيق الآخر للحرب . وفيما تلا هذه الحرب ، وقد مضى على نهايتها ثلاثة وأربعين عاماً ، نلاحظ استعداد المعسكرين الغربى والشرقى ، وافئاقهما المجنون على السلاح ، لا لانهما يريدان الحرب (لانها ان وقعت فلن تبقى ولن تذر — لان اسلحة العصر ، اسلحة نووية وكيميائية وجراثومية .. الى آخره) وانما لتجنب الحرب ، وهذا أيضاً ينطبق على أية قوة عظمى أخرى يمكن أن تظهر فى المستقبل القريب أو البعيد . وحتى فى اتجاه المعسكرين المذكورين نحو عقد اتفاقيات لخفض الاسلحة ، فانهما يتحركان فى أثناء وفى حذر . والحديث عن « حقوق الانسان » له صوت عال فى كل المفاوضات ووسائل الاعلام .

د — فى باب « صندوق الدنيا » (ص ٢ ، أهرام ١٩٨٦/١١/٢) ذكر الاستاذ أحمد بهجت كلمة للمجاهد الافغانى حكمت فى مؤتمر اسلامى عقد فى تركيا — بدأها بقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون » (١٠٥ — الانبياء) ثم قال البطل ما قال : ان نستسلم حتى نطرد السوفيت . نحن نريد الاسلام ، ونحلم بدار الخلافة وانعدام الحدود بين اطراف العالم الاسلامى . وختم المجاهد كلمته بقوله تعالى : « ولا تهتفوا ولا تحزنوا وافقم الاعلون ان كنتم مؤمنين » . ويقول كاتب هذه السطور : ان ما يحلم به البطل حكمت يحلم به كل مسلم . « والجهاد الاسلامى » ماضى ، ويكفى صدق وعزم حتى يتحقق هذا الحلم . والنماذج فى عالمنا المعاصر كثيرة ، وانى أرجو لمنظمة المؤتمر الاسلامى أن تتخذ طريقها . قدما وتحذو حذو منظمة « دول السوق الاوروبية المشتركة » : ثم تمضى فى طريقها الى منظمة اتحادية دولية ، ثم دستورية ، ويصير « مؤتمرها » — بكل مؤسساته التشريعية والتنفيذية هو « الخلافة » التى يرنو اليها ، وينتظرها ويعتز بها كل المسلمين فى المشرق والمغرب .

الفصل الثاني

فى المهادنة والأمان

٢٨ - فى المغلى لابن قدامة (ج٩ ، ص ٢٨٥) - معنى الهدنة أن يعقد (الأمن أو نائيه) لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة ، بعبوض أو بغير عبوض . وقسمى مهادنة (١) وجواردة ومعاهدة . وذلك بجائز ، بذليل قوله تعالى : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . . » (الآية الاولى - التوبة) ، وقوله - سبحانه : « وان جفحوا للناس فما جنع لها . . » (الآية ٦١ الانفصال) .

وفى كتابه « بداية المجتهد (٢) ونهاية المصنف » ، وي عنوان : « فى جوار المهادنة » يقول ابن رشد (٣) : « ان قوتها اجازتها ابتداءً من غير سبب اذا رأى الامام أن فى ذلك مصلحة للمسلمين ، بحيث لم ينجزها الآخرون الا المكان الضرورة الداعية لأهل الاسلام من فتنة أو غير ذلك . ومن الفقهاء (الأوزاعى) من أجاز نلاماً مصالحه الكفار على شىء يقتضيه (٤) المستلهمين اليهم اذا دعت الى ذلك ضرورة فتنة أو نحوها . ومن الفريق الاول - الذى أجاز بإجازه المصلحة ملكاً والشافعى وأبو حنيفة ، غير أن الشافعى قد اشترط الا يزيد مدة الصلح عن المدة التى صلح عليها رسول الله (ص) الكفار فى (٥) صلح الحديبية .

(١) فى الأحكام السلطانية للملوك (ص ٥١ وما بعدها) ، « و اذا تم تدعى الى عقد المهادنة ضرورة ، لم يجز أن يهادنهم ، ويجوز أن يوادعهم أربعة أشهر فما دون ، ولا يزيد عليها ، لقوله « فسيحوا فى الارض أربعة أشهر . . » (٢ - التوبة) . ومن هذه العبارة ثلثين أن الملوك يفرق بين المهادنة والموادعة ، فهذه الأخيرة لا تمتد الا لاربعة أشهر فما دون .

(٢) ج ١ طبعة الثالثة (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠) مكتبة مصطفى البانى الحلبي بانقاهرة ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) (مالكى) .

(٤) استناداً الى ما روى من أنه (ص) كان قد هم أن يعطى بعض ثمر المدينة لبعض الكفار الذين كانوا فى جهلة الاحزاب لتخبيهم . (وخبب على فلان صديقه : أفسده عليه) .

(٥) (١) اختلف فى هذه المدة فقيل كانت عشر سنين وقيل : ثلاثاً ، وقيل : كانت أربع سنين . ابن رشد نفسه وفى ابن كثير (تفسير الآية ٦١ الانفصال) كانت تسع سنين .

وسبب اختلافهم في جواز الصلح من غير ضرورة معارضة ظاهر قوله تعالى « فإذا انسحلح الأشهر الجرم فاقبلوا المشركين حينئذ وجنتهم » (٦) وقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . (٧) » لقوله تعالى : « وإن جئحوا للسلم فلقبج لها فتوكلي على الله (٨) » فمن رأى أن آية الأمر بالقتال جتي يسلموا أو يعطوا الجزية ، فابسخة لآية الصلح قال : لا يجوز الصلح الا من ضرورة ومن رأى أن آية الصلح مخصصة لذلك قال : الصلح جائز اذا رأى ذلك الامام ، وبعضه تأويله يفهل النبي (ص) ذلك أن صلحه عام الحديبية لم يكن لموضع الضرورة .

واذا كان الشافعي قد اشترط ألا تزيد مدة المهادنة عن عشر سنين (كما جاء في عبارة ابن رشد السابق ذكرها) فإنه يفهم من سياق تفسيره انه يراه أن مالكلوا حنيقة لم يحدد مدة . وفي المعنى (نفسه ص ٢٨٦) « قال أبو الخطاب : ظاهر كلام أحمد أن عقد المهادنة يجوز على أكثر من عشر سنين على ما يراه الامام من المصلحة ، وإن ما جاز في العشر جاز في الزيادة عليها ، لأن المصلحة قد تكون في الصلح أكثر مما تكون في الحرب . وهذا ما أرجحه ذلك لأن ظروف المهادنة قد تختلف من حالة إلى أخرى . وفي سائر الاحوال فله لا يجوز عقد المهادنة » (لا تنظر للمسلمين ، أما أن يكون بهم ضعف عن قتال الآخرين) ، وأما أن يطمع في إسلامهم بهدفتهم أو في ادائهم الجزية والتزامهم بأحكام الملة أو غير ذلك من المصلح » (المعنى — نفسه ص ٢٨٥) .

واذا كانت المهادنة جائزة من حيث المبدأ ، وإذا كان الخلاف بين الفقهاء بدور حول مدى المدة ، كما يدور حول سبب المهادنة (أهو مجرد المصلحة أم الضرورة الملجئة) — « فله لا يجوز المهادنة مطلقا من غير تقدير مدة ، لأن عدم تقدير مدة يفرض إلى ترك الجهاد (٩) بالكلية » (المعنى ، نفسه ص ٢٨٥) .

(٧) ٢٩ — التوبة .

(٦) الآية — ٥ — التوبة .

(٨) الآية — ٦١ — الأنفال .

(٩) المقصود « بالجهاد » (هنا) هو ما يجب على الامام (أى على الحكومة الإسلامية) من اغتزاز طائفة إلى العدو كل سنة مرة ، يخرج عنهم (الامام بنفسه) أو من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ، ويرغبهم ، ويكب لذارهم ، ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد (انظر سابقا — بند ١) وقد تليق بهذا « المفهوم للجهاد » في الفصل السابق .

يقول الماوردي (الاحكام السلطانية ص ٥ وما بعدها) : انه اذا طلب الاعداء المسألة يجوز اجابتهم الى ما طلبوا اذا تعذر على المسلمين الظفر بهم واخذ المال منهم — في مدة مقدرة ، ويقتصر على أقل مدة ممكنة
 واقول : وما نقلته هنا عن صاحب المغنى والماوردي جاء من نفس المنطلق الذى ينطلق منه الفقهاء الاوائل في تعريف الجهاد (وانظر — البحث ١٤) ، وقد ناقشت هذا المفهوم للجهاد ، وعارضته في الفصل السابق .

٣٩ — يقال : استامن الحربى : أى طلب الامان . والامان — في أحد تسمياته ، وكما جاء في « الاحكام السلطانية للماوردي — ص ٥١ وما بعدها » نوعان : عام وخاص . والأول لا يملكه الا الامن (رئيس الدولة الإسلامية) . أو من يفوض الامام ذلك اليه كأمير الجيش . وأما الامان الخاص فيصح ان يذله كل مسلم من رجل وامرأة وحر وعبد ، لقول النبي (ص) : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسمى بدمتهم أديانهم (١) » .

وفي البدائع للكاساني — (ج ٧ ص ١٠٦ وما بعدها) : أن الامان — في الاصل — نوعان : مؤقت ، ومؤبد . والموقت نوعان : أحدهما الامان المعروف ، وهو أن تحاصر الغزاة حصنا من حصون الكفرة : فيسئلمهم الكفار فيؤمنوهم . والثاني هو المعاهدة والصلح على ترك القتال ، وشرطها الضرورة أما الامان المؤبد فهو عقد الذمة وهذا اذا وقع الصلح على أن يجرى عليهم أحكام الاسلام (وهذا العقد هو موضوع كتاب « غير المسلمين في الدولة الإسلامية » للمؤلف (١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م)) .

٤٠ — وهذه بعض النصوص والمواثف في المهادنة والامان ، وفي علاقات المسلمين بغيرهم — بصفة عامة — في السلم والحرب : عن راد المعان لابن القيم (ج ٢ ص ٧٠ وما بعدها) (من فصل بعقوان : هديه (ص) في الامان . . . » . ثبت عنه أنه قال : « ذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » . ومن أقواله (ص) : « من كابر بينه وبين قوم عهد فلا يحل عقد ولا يشدها حتى يمضي أمده أو ينذر اليهم على سواء » . وقال : من أمن رجلا على نفسه فقتله ، فأنا بريء من القتال » .

(١) انظر في المقصود بلفظ « أدناهم » السير الكبير للشيباني ، ج ١

وفى لفظه: « أعطى لواء غدر »: ويؤكد عنه (ص) أنه قال: ما نقض قوم
العهد الا أهل عليهم العدو . وفى فصل آخر (نفسه ص ٧٥ قال: كانت
تقدم على النبي (ص) رسل أعدائه، وهم على عداوته، فلا يهيجهم ولا يقتلهم
ولما قدم عليه رسولا مسيلمة الكذاب . . قتل لهما: فما تقولان انتما؟ قالا:
نقول كما قال: فقال رسول الله (ص): لولا أن الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما
فجرت سنته الا يقتل رسول . وكان هذيه — أيضا — أن لا يحبس الرسول
هذه، اذا اختار الاسلام . بل يرد الى قومه . ومن أقواله (ص) فى ذلك:
انى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد (حملة البريد) . وكان من هديه (ص)
أنه اذا عاهد أعداؤه أحدا من أصحابه على عهد لا يضر بالمسلمين، من غير
رضاه، أمضاه لهم: (انظر — أيضا — نفس المرجع ج ٣ ص ١٢٢) . وفى
الاحكام السلطانية للملوردى، نفسه ص ٥١ وما بعدها: « أنه اذا نقض
الأعداء عهدهم مع المسلمين، فلا يجوز للمسلمين قتل ما فى أيديهم من
الرهائن . وقد نقض الروم عهدهم زمن معاوية وفى يده رهائن فاستنع
المسلمون جميعا من قتلهم، وخلوا سبيلهم (١)، وقالوا: وفاء بغدر خير
من غدر بغدر . ومن أقواله (ص): « أد الامنة الى من ائتمك ولا تخن
من خائنك (٢) » (انظر — أيضا — الاحكام السلطانية — لابی يعنى ص ٤٩) .
وفى المغنى (نفسه ج ٩ ص ٢٨٥ وما بعدها): أنه اذا دخل بعض أهل الحرب
دار الاسلام بأمان كان أمنا، واذا أعطى (بالمبنى للمجهول) الأمن أهل
الحرب حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم . ومن أئلف من المسلمين أو من أهل
الذمة عليهم شيئا فعليه ضمانه . وان عقد الامام الهدنة ثم مات أو عزل
لم ينتقض عهده، وعلى من بعده الوفاء (١ — المائدة)، « فاتهموا اليهم
عهدهم الى مدتهم » (٤ — التوبة) الى آخره . واختتم هذه الفقرة بالآية
الكريمة: « وان أحد من المشركين استجارك فأجره، حتى يسمع كلام الله
ثم أبلغه مأمنه » (٦ — التوبة) .

(١) و (٢) هذه أمثلة على أننا نتعامل الآخرين — لا بالمثل — ولكن

الملاحق

الملاحق الأول

١٩٤ — الإسلام وآداب (١) الحرب :

أبدأ هذه الكلمة بالحديث الشريف الذي رواه الجماعة إلا البخاري — من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه ، قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم — إذا أمر أميراً على جيش أو سرية — أوصاه — في خاصته — بتقوى الله تعالى ، ويمن معه من المسلمين خيراً ثم قال : — اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغنروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً . وإذا لقيت عيوك من المشركين ، فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث ، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم . ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم أن تغلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين ، وإن عليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفء ولا الغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فلينبأهم الجزية (٢) ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقتلهم .

وإذا حضر أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فأنتم أن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم خير من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه .

(١) انظر هامش (٣) بند ١٢ . وقرن بيثد ٤٠ من كتابي « شر المسلمين في الدولة الإسلامية » بعنوان العنف .

(٢) المعروف أنه لا هجرة بعد الفتح . وقد أشرت — فيما تقدم — مراراً — إلى أن العرب ، وخاصة قبل الفتح ، كانوا صفاء واحداً في معاداة الإسلام والمسلمين ، وأن غزوات الرسول وسراياه كانت لدفع عدوان واقع أو إجهاض عدوان يوشك أن يقع ، وإنها لم تكن قط بلاكراهي الدين ، وإنها لمنع الفتنة وحماية الدعوة . وأجر خيار في النص هو « الجزية » التي لم تكن سوى مجرد رمز للالتزام بعدم معاندة المسلمين .

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادهم أن يغتسلوا على حكم الله ، فلا تغزهم ، فانك لا تدري أصبحت حكم الله فيهم أم لا . ثم أقضوا فيهم بعد ما شئتم (٣) .
وأقول : أن هذا الحديث يشير — فضلا عن آداب الحرب . . . — إلى القضاء . منه أنه قيل قبل الفتح في العام الثامن للهجرة . (إذ أنه لا هجرة بعد الفتح) أي أنه قيل قبل نزول « براءة » (والآية ٢٩ منها) — ومع ذلك فيه إشارة إلى أخذ الجزية . .

ومن نفس النبع ، نبع السبقة المباركة ، وبذات الروح ، لموصى أبو بكر — رضى الله عنه — يزيد بن أبي سفيان بن حرب (الذي أسلم يوم فتح مكة) — أوصاه حين أرسله أمرا على أحد الجيوش إلى الشام عام ٣ هـ . فقال : « . . . وأني موصيك بعشر : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبرا هرا ، ولا تقطعن شجرا مؤمرا ولا تخربن علما ، ولا تعقرن شاة ولا بعرا إلا ليطعم . ولا تحرقن نخلا ولا تفرقنه ولا تفلل ولا تغبن » (انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٤٨ وما بعدها . وفيه تفاصيل أكثر . وانظر كذلك . . المراجع المنار إليها فيه) .

وفى تفسير المنار (ج ١٠ ص ٢٧٤ . — طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢) « . . . علم من التاريخ أن شعوب أوروبا أشد البشر ضراوة وتسوة في الحرب في أطوار حياتها كلها من هيجية ووثية ونصرانية مذهبية ، وصليبية ، ومخنية ملادية . . . إلى آخره » (وانظر بهذا المعنى للمؤلف الإسلام وحقوق الإنسان — مقدمة الطبعة الأولى) . . وأعود إلى صاحب المنار ، وانظر عنه قوله : « . . . وقد كان من اصلاح الإسلام الحرى مذهب جعل الحرب للاكراه في الدين ، أو للإبادة ، أو الاستعباد الشخصى أو القومى ، أو لسلب نروة الامم ، أو للذة القهر والتبجح بالشهوات ، ومنها منع اقتسوة كاتميلي ، ومنع تنل من لا يقتل . . . ومنع التخريب . . . إلى آخره » . « وهذه كلها — والكلام لصاحب المنار — لا تزال على أشدها عند دول أوروبا . . » (وانظر — على سبيل المثال — الحكومة الدينية للمرحوم عمر القنصلاني ، ص ٢١ — دأر الاعتصام) .

(٣) انظر مناقشة ستيفنة لهذه المعاني في « الإسلام والدولة لدولف (بنود ٣٢ و ٧٣ و ٧٤) .

الملحق الثاني (١)

(الشرك - الكفر - النفاق)

٤٢ - الشرك فى كتب اللغة : اعتقاد تعدد الالهة . وكفر الرجل
 وكفر ، كفرا وكفرا = لم يؤمن بالوحدانية ، أو النبوة ، أو الشريعة ،
 أو بثلاثتها . وفى التنزيل الحكيم : « وقتل الذين كفروا للذين آمنوا أنبعوا
 سبيلنا » (١٢ العنكبوت) ويقال : كفر بالله ، أو بنعمة الله . وفى التنزيل
 العزيز : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » (٢٨ البقرة) وفيه
 أيضا - « وبنعمة الله هم يكفرون » (٧٢ - الفصل) . وكفر الله عنه الذنب ،
 غفيره .

النفاق - نفاق فلان : أظهر خلاف ما بطن . والمنفق : من يخفى
 الكفر ويظهر الإيمان . والمنافق : من يضمر العداوة ويظهر الصداقة . ومن
 يظهر خلاف ما بطن .

الشرك والكفر فى القرآن الكريم :

يقول تعالى فى سورة البقرة (الآية ٢٥٤) ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم
 الظالمون » (٢٥٤ - البقرة) فى « أوضح التفاسير لابن الخطيب » - أى
 والطاركون للزكاة « هم الظالمون » - بدليل أول الآية « يا أيها الذين آمنوا
 اتقوا مما رزقناكم » ، وبدليل قوله تعالى : « وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون
 الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » (٦ و ٧ فصلت) . وقد سماهم الله فى
 هذه الآية (٢٥٤) بالكافرين . وفى آية أخرى بالمشركين (آية فصلت) .
 وفى المغنى لابن قدامة (ج ٩ ص ١٩٤ وما بعدها) كتاب الجهاد :
 أن الكفار ثلاثة أقسام : أهل كتاب وهم اليهود والنصارى ، ومن لهم شبهة
 ككلب ، وهم المجوس ، ومن لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب ، وهم من عدا هذين
 القسمين من عبدة الاوثان ومن عبد ما استحسن وسائر الكفار (وانظر

(١) انظر بند ١٦ ، وحديث البخارى عن ابن عمر ، وانظر البخارى
 (ج ٥ ص ١٩٣ و ١٩٤) . سئلت عائشة رضى الله عنها عن الهجرة فتالت :
 « لا هجرة اليوم (بعد الفتح) : كان المؤمن يفر أحدهم بدينه الى الله ، والى
 رسوله (صلعم) مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام
 فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء . ولكن جهاد وثيلة » .

«التفاسير في ذات المرجع» ، ويروى عن ابن عباس قوله : «الكفار المشركون عبدة الاوثان . وقيل : كل من خالف دين الاسلام من مشرك او كفاي اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة . ذكره الماوردى واختاره ابن العربى ، وقيل : وهو الصحيح لعموم الآية فيه (تفسير القرطبي ج ١٦ ، ص ٥٥ وما بعدها في تفسير قوله تعالى : « فبأذا لقيم الذين كفروا فغضب الرباب . . » (٤ - محمد) وفي « الظلال » (للمرحوم سيد قطب) نراه يطلق لفظ « المشركين » على اهل الكتاب والوثنيين . ومن ذلك قوله : ان « نسووص الآيتين ٣٦ و ٣٧ من سورة التوبة » تقرر حقيقة هامة ، وهى ان اهل انكتاب مشركون » (انظر تفسير الآيتين المذكورتين في المرجع المذكور) .

وماذا عن (٢) النفاق ؟!

كان للنفاق والمنافقين حزب كبير في المدينة ، على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . وفي القرآن الكريم سورة بلسم « المنافقون » . وفي كتابى « غير المسلمين في الدولة الاسلاميه » (بنود ٨١ - الى ٨٥) (طبعه اولى) كتبت عن المناخ الذى كلن يسود المدينة في عهد الرسول والوحى مازال ينزل عليه . كانت المدينة ، وقشذ تعج بالكثيرين من اليهود والمنافقين الذين تعاونوا - بغير حدود - على الاتم والعدوان بالكيد للرسول والمسلمين ، عليه وعليهم الصلاة والسلام ويتتبع السيرة الشريفة نرى كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعامل المنافقين بكثير من الصبر وسعة الصدر . وأذكر هنا بما كان من رأس النفاق والمنافقين عبد الله بن أبى فى غزوة بنى المصطلق (انظر للمؤلف : « غزوات الرسول وسراياه - الطبعة الأولى مسلسل رقم ٢٩ وانظر - كذلك ما كتبه فى نفس الموضوع فى كتابى « الاسلام وحقوق الانسلن » (مند ١٤٥) . وأضيف هنا ما يلى :

١ - فى تفسير القرطبي (ج ٣ ص ١٥ وما بعدها) فى تفسير الآية الكريمة ٢٠٤ من سورة البقرة : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو الد الخصلم » قال - حول احدى المسائل التى تتصل بها جاء فى الآية - ان الحاكم لا يعمل على ظاهى احوال الناس حتى يبحث فى باطنهم . . . فلن نقبل : هذا يعارضه قوله عليه الصلاة والسلام : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله . . (الحديث) » وقوله « فاقضى له على نحو ما اسمع . . » فالجواب ان هذا كله كان فى

(٢) انظر البند ٢١. « فى جهاد المنافقين » .

صدر الاسلام ، حيث كان الاملاهم بسلامتهم . . . وأما وقد غم القساسة فلا . . . قتاله
ابن العربي . قلت (أى القرطبي) : والتصحيح أن الظاهر يعمد عليه حتى
ينبئ خلافة لقول عمر (رضى الله عنه) فى صحيح البخارى « ايها الناس
إن الوحى قد انقطع » ، وانما نأخذكم الآن لما ظهر لنا من أعمالكم . فمن أظهر
لنا خيرا أنفساه وقربناه . . . وليس لنا من سريره شيء . . . الله يحاسبه فى
سريره ، ومن أظهر لنا سوءا لم يؤمنه ولم تصدقه وإن قل : أن سريره
حسنة » . ويقول ابن القيم (٣) عن هدى القلى صلى الله عليه وسلم وسيرته
مع المنافقين « أنه أمر أن يقتل عائلتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأنه
يجاهدهم بالعلم والحجة » ، وأمر أن يعرض عنهم وأن يبلغ بالقول البليغ إلى
نفوسهم . . . إلى آخره » .

الملحق الثالث

فى النسخ

٤٣ — كثر القول (١) بالنسخ أى نسخ آيات كريمة بأخرى ، فى
موضوع الجهاد ، حتى قال بعضهم أن آية السيف قد نسخت بسبعين آية من
كتاب الله ، وقدرها البعض بأكثر من ذلك . . . وما سأقدمه هنا عن « النسخ »
ليس بحثا فيه ، إنما هو « مجرد فكرة » عنه . . . وفيما يلى نص عن الإمام
الشافعى رضى الله عنه ، يجمع بين التبسيط والوضوح وقوة الانتفاع . .
والنص عن موقف الاسلام من « الاسارى » . . . وفيه قري الإمام الجليل ، يعمد
إلى أعمال النصوص جميعها ، وبالتالي ، إلى استبعاد القول بالنسخ فى هذا
المسألة . . . وأعمال النصوص خير من أعمالها كما يقول الفقهاء المعاصرون . . . وفى
ذات المعنى يقول الإمام القرطبي فى تفسير الآية الرابعة من سورة محمد
(ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) أن النسخ إنما يكون بشيء قاطع ، فإذا أمكن
التمسك بالآيتين . . . فلا معنى لقول بالنسخ ، إذا كان يجوز أن يقع التمسك . .
(وقد قال القرطبي ذلك بعد أن أورد خمسة آراء فى الآية المذكورة) .
(والغالب أن تعدد الآراء إلى هذا الحد لا يكون إلا على جسر ، أو جسور
من القول بالنسخ) . . . قال الشافعى رضى الله عنه تجت عنوان « باب قتل
الاسارى » ، والمفاداة بهم والمن عليهم » « انظر كتاب : « اختلاف الحديث

(٣) ص ٨١ وما بعدها طبعة بيروت ج ٢ من « زاد المعاد » .

(١) انظر — وعلى سبيل المثال المتقدمين ١١ و ١٣ إلى آخره .

للامام الشافعى « (مُتَشَوَّرٌ عَلَى هَامِشِينَ تَحْتَ «الام» له (ج ٧ ص ٨٦ وما بعدها) قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ ، أَخْبَرَنَا الشَّافِعِى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّهَابِ الْقُفَيْى عَنْ أَبِيهِ قَتْلَاةٌ عَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ : قَالَ : « أَسْرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ ، وَكَانَتَا ثَقِيفٌ تَدَّ أَسْرَتَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَدَاهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ أَسْرَتَهُمَا ثَقِيفٌ » ، قَالَ : وَقد رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْقُبْرِى (لَا يُحْضَرْنِى ذَكَرٌ مِنْ هُوَعِهِ مِى الْأَسْنَادِ) — أَنَّ خَيْلًا لِلنَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَتَ شِهَابَةَ بِنْتَ أَسْلَمٍ النَّخَعِىَّةَ ، فَتَبَى بِهِ مُشْرِكًا ، فَرِيطَهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَجَابِيَّةَ مِنْ سَوَارِى الْمَسْجِدِ ، ثَلَاثًا ، ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَتَبَى بِعَدَاةٍ قَتَلَتْ الشَّافِعِى : وَأَخْبَرْنِى عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَ الْفَضْرَ بْنَ الْحَارِثِ (٢) يَوْمَ بَدْرٍ وَتَمَنَّتْ . حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ : قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّافِعِى : قَالَ : وَأَخْبَرْنِى عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَ عَقْبَةَ بِنْتُ أَبِي مَعِيْطٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَتَمَنَّتْ . وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَ سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو وَأَبَاوَدَاعَةَ السَّهْمِىَّ وَغَيْرَهُمَا فَفَدَاهُمَا بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَفَادَى بَعْضُهُمْ بِأَقْلٍ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَا عِزَّةَ الْجَحْمِىَّ يَوْمَ بَدْرٍ فَمِنْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَسْرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَتَمَنَّتْ (٣) . قَالَ الشَّافِعِى : فَكَانَ مَعَهَا وَصَفَتْ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْإِمَامِ إِذَا أَسْرَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْتُلَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ عَلَيْهِ بِمَا نَسَى أَوْ أَنْ يَفَادَى بِمَا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ ، أَوْ أَنْ يَفَادَى بِأَنْ يُطْلَقَ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يُطْلَقَ لَهُ بَعْضُ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، لَا أَنْ يَفَادَى بِهَذَا نَسِيخٍ لِبَعْضٍ ، وَلَا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ لَهُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ إِبَاحَتِهِ . وَلَا يَقَالُ : الشَّيْءُ مِنَ الْأَحْكَامِ مُخْتَلَفٌ مَطْلَقًا إِلَّا مَا قَالَ

(٢) أَقُولُ : لَقَدْ كَانَ مِنَ النَّظَرِ هَذَا — قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِى الْأَسْرِ — جَرَائِمُ تَسْتَوْجِبُ الْقَتْلَ — لَقَدْ كَانَ مِنْ تَسْمِيهِمْ فِى عَصْرِنَا «مَجْرُمِى حَرِيمِ» ، وَانْظُرْ فِى «النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عُلْقَمَةَ وَعَقْبَةَ بِنْتُ أَبِي مَعِيْطٍ» لِأَنَّ هَاشِمًا — الْقَسَمِ الْأَوَّلَ — النَّطِيعَةَ الثَّانِيَةَ ، الْمُصْتَفَحَاتِ الْمَبِينَةِ تَحْتَ أَسْمِ كُلِّ مَثْمُهَا فِى نَهْرَسِ الْأَعْلَامِ ص ٨٧٦ و ٧٨٩ . وَانْظُرْ بِكَذَاكَ بِنْدًا ٢٦٦ .

(٣) مَا كَانَ مِنَ أَبِي عِزَّةَ كَانَ عَدَمٌ وَقَدْ بَوَّعَتْ . كَانَ خَدْرًا — انْظُرْ فِى مُعَامَلَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ الْمَرْجِعِ السَّالِقِ ، ص ٦٦ .

حائكم حلالاً وحائكم حراماً . غامباً ما كان واسعا — فيقتال : هو مباح ، وكل من صنع فيه شيئاً وإن خالف فعل صاحبه ، فهو فاعل ما يجوز له ، كما يكون التلثم مختلفاً للقاعد ، والمائسى مخالفاً للقائم . وكل ذلك مباح . لا أن حتماً على المائسى أن يقوم ولا على القائم أن يتعد « (أ.هـ) » (وانظر وقارن بما عرضته ورجحته في اليند ٢٣ وفي المبحث ١٣) .

وعما يترتب على الاسرامه في القول بالنسخ استنوق هذا المثال : —

جاء في القرطبي (ج ١٦ من ٢٢٩) في تفسير قوله تعالى : « حتى تضع الحرب أوزارها » « قال ابن العربي : قال الحسن وعطاء : في الآية تقديم وتأخير . المعنى : فضرب الرقاب ، حتى تضع الحرب أوزارها ، عداً انخضموهم مشدوا الوثاق . وليس للإمام أن يقتل الأسير . وقد روى عن الحجاج أنه دفع أسيراً إلى عبد الله بن عمر ليقتله . غابى وقال : ليس بهذا أمرنا الله ، وقرأ الآية : قلنا : (والكلام عن تفسير القرطبي) : قد قتله رسول الله (ص) وفعله (أي القتل) . (وليس في قول الله « فلما بنا بعد وأما فداء) منع من غيره . فقد بين الله في الزنى حكم الجلد وبين النبي (ص) الحكم بالرجم ، ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج ، فاعتذر بما قال . وريبك أعلم » أ.هـ . وتثير هذه العبارة أكثر من تعقيب : فهل يصح في الأديان والأدهن أن يعدل ابن عمر أو يهيل أنى قول دون قول بسبب الحجاج أو نسير الحجاج من غلاظ القلوب ؟ وإذا كانت الآية صريحة ، قاطعة الدلالة ، وقد تكون آخر ، أو من آخر ما نزل في موضوعها ، أفليس من الأسير أن تقول مع من قال : أن الحكم قبلها كان « والمسلمون قلة » ثم صار الحكم هو ما جاء فيها بعد أن صار المسلمون قوة (١) وكثرة — أفليس من الأسير أن نقول ذلك من أن نفيس على نسخ السنة للقرآن ، بتقرير الرجم في الزنى بدل الجلد « تقرير قتل الأسير » بدل الفداء أو المن ؟ ! .

وعن القول في النسخ أذكر ما يلي : —

عن القرطبي ج ٢ ص ٦١ وما بعدها (تفسير قوله تعالى . ما ننسخ من آية . . . » (١٠٦ ، البقرة ص ٦٢) النسخ في كلام العرب على وجهين : أحدهما : النقل . والثاني : الإبطال والازالة وهو المقصود هنا ، وهو منقسم في اللغة — على ضربين : أحدهما إبطال الشيء وزواله واتلافه آخر مقلبه «

وتهو معشى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية .. » والثاني : إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه كقولهم نسخت الريح الاثر .. وفيه (ص ٦٣) وقد « انكرت طوائف من المنتمين الى الاسلام المتأخرين جوازه . وهم محجوجون باجماع السلف السابق على وقوعه فى الشريعة . وانكرته — أيضا طوائف من اليهود وهم محجوجون بما جاء فى توراتهم .. » (يلاحظ ان انقراطى توفى ٦٧١ هـ) وفيه : (ص ٦٥) — « ولقد اقر الاثمة على أن القرآن ينسخ بالسنة ، وذلك موجود فى قوله (ص) « لا وصية لوارث » فيه : (ص ٦٦) « والخداق — أيضا — على أن السنة تنسخ بالقرآن ، وذلك موجود فى النبلة ، فان الصلاة الى السلام لم تكن فى كتلة الله .. وهذا كله فى مدة النبى (ص) ، أما بعد موته واستقرار الشريعة فأجتمعت الامة أنه لا نسخ . فلذا وجدنا اجماعا يخالف تصا ، فيعلم ان الاجماع استند الى أصل ناسخ لا نعلمه نحن .. » (ص ٦٦) . ولعرفة النسخ طرق منها أن يكون فى اللفظ ما يدل عليه كقوله عليه السلام : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن الاشرية الا شئ ذلوف الادم ، فاشربوا فى كل وعاء غير الا تشربوا مسكرا » ..

وفى تفسير المنار (عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده) : « والتفسير الصحيح للآية « ما ننسخ » أن « الآية » فى قوله تعالى « ما ننسخ من آية » هى ما يؤيد الله به تعالى الانبياء من الدلائل على نبوتهم (أى المعجزات) « أى « ما ننسخ من آية » نقيضها على نبوه نبى من الانبياء أى نزلها ونترك تأييد نبى آخر بها .. أو نفسها الناس يطول العهد بمن جاء بها — بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف فى الملك تاتى بخير منها فى قوة الاقتناع واثبات النبوه ، أو مثلها نى ذلك . والآية فى الاصل اللغوى هى الدليل والحجة والعلامة على صحة الشئ ، وسميت جهل القرآن آيات لانها باعجازها حجج على صادق النبى ودلائل على أنه مؤيد فيها يلوحي من الله عز وجل من قبيل تسمية الحاص باسم العام .. الى أخذه .. وفى المصحف المفسر للمجلس الاعلى للثئون الاسلامية — للآية ١٠٦ البقرة ذهب نفس هذا المذهب .. هذا وفى تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٥ هامش (١) ما يلى : « بعد نشر هذا التحقيق فى المنار بزمان طويل علمت أن الشيخ محبى الدين بن عربى سيق الى مثله .. » فذكره مختصرا فى تفسيره كتب على طريق المفسرين دون الصوفية (٥) ..

(٥) وانظر فى التبليغ — كذلك وعلى سبيل المثال — تاريخ التشريع الاسلامي ل محمد بك الخضري طبعة ١٩٢٦ د — ص ١٥ وما بعدها .

ولا اترك هذه الكلمة عين « الفسخ » دون أن ادعو النصارى الى قراءة الآيات الكريمات التي جاءت في الخمر ، وهي : — ٢١٩ البقرة و ٢٤٣ النساء و ٩٠ المائدة ، وهذه هي وبذا من الترتيب : —

١ — « يسألونك عن الخمر والميسر » قل : فيها اثم كبير ومنافع للناس واتمهما اكبر من نفعهما . . . »

٢ — « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . . . » .

٣ — يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والاتصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ومما جاء في « التورطى » (٦) في تفسيره لهذه الآية الاخيرة : « تحريم الخمر كل بتدريج . . فانهم كانوا مولعين بشربها ، وأول (٧) ما نزل في شأنها الآية ٢١٩ البقرة ، والمراد بقوله تعالى : « ومنافع للناس » أى في تجارتهم . فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس ، وقالوا : لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ، ولم يتركها البعض الآخر ، وقالوا : نأخذ بنفعها ونترك اثمها فنزلت هذه الآية « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » فتركها بعض الناس وقالوا لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة ، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزلت : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والاتصاب والازلام رجس . . الى آخر الآية . . » فضلت حراما عليهم . وروي أبو داود عن ابن عباس قال « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى . . » و « يسألونك عن الخمر والميسر . . » نسختها التي في المائدة : « انما الخمر والميسر . . » الى آخره . . ومما جاء في تفسير المفاتيح نونية (٩٠ المائدة) أن الله تعالى حرم الخمر بتدريج . . . والحكمة في تحريم الخمر بالتدريج أن الناس كانوا مهووسين بها حتى انها لو حرمت في أول الاسلام لكان تحريمها صعبا لكثير من المدمنين لها عن الاسلام ، بل عن النظر للصحيح المؤدى الى الاهتداء به . . فكان من لطيف الله تعالى وحكمته أن حرّم الخمر بالتدريج على النحو السابق (٨) فذكره (وأنظر في « التدريج في التشرية » وعلى سبيل المثال : — تاريخ التشريع للخضرى — نفسه ص ١٤ وما بعدها)

(٦) ج ٦ ص ٢٨٥ وما بعدها .

(٧) يارن بتفسير المنار ج ١ ص ٤٣ ، وفيه : « وكان تخليخنا يرى أن آية النساء نزلت قبل آية البقرة » : (٨) المرجع نفسه ص ٤١ و ٤٢ وما

الملحق الرابع فى الاجتهاد

اعرف — فى كتابى « الاسلام والدولة » كتبت فصلا بعنوان « الاجتهاد بين السلف والخلف » (انظر البندين ١٢٢ و ١٢٣ منه) ، و خلاصة الفصل ان السلف اجتهدوا معيروا فى شكل الشورى ، لكنهم لم يتخلوا مطلقا عن ضماناتها ، ومضمونها ، اما الخلف فلجتهدوا واجتهدوا ، وليتهم ما اجتهدوا على نحو ما فعلوا ، لانهم بواجتهادهم ارضوا الحكام ، وكثروا « ملكيين اكثر من الملك » ، وامرغوا الشورى من « فتنة » معناها ويلاحظ الباحث ان الفتنة الاسلامى معنى جدا جدا ، فى معنى العبادات والمعاملات وفقير جدا فى المعنى السياسى والاقتصادى : اى فيما يتعلق بنظام الحكم والعدل الاجتماعى . والاسباب معروفة . لقد كان الحكام (اعنى اكثرهم) وعلى مدى القرون طغاة جبابرة . وقد استخدموا — كما هى عادة كل الطغاة فى كل زمان ومكان — الترغيب والترهيب ، فاذلوا الجميع ، وهياوا التربة التى اُنبثت النفاق والمتلفعين والخونة لله ورسوله والمؤمنين . واقول ما يقوله الجميع فيما يتعلق « بالدعاة » الذين كان عليهم ان يدركوا معنى الحديث الشريف الا ترى ذكره ، وان يعملوا به ، وهو : « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » ماذا لم يعملوا فكلن عليهم ان يصمتوا ، واذا اكرهوا (بالمبنى للجهول) فكلن عليهم ان يتلقوا الموت بطلب خاطر (وقد فعل ذلك كثيرون من المؤمنين) لقد ذكرت ما تعللوا به ، ذكرته وناقشته فى عدة فصول من كتابى السابق ذكره . لقد تعللوا بوجوب اتقاء الفتنة ، وتحمل الضرر القليل لتجنب الضرر الكثير . واقول هنا ما قلته هناك : لقد كان اهل الشورى ، الشورى الحقيقية ، وعلى اوسع نطاق وامهه ، برد الامر كل الامر للامة ، ودون وصاية من احد — لقد كان اهل الشورى بهذا المعنى هو الفتنة التى ما بعد ما متنة . انبثا سبب تخلف المسلمين واتحداهم على مدى القرون ، وحتى اليوم . والعلاج الاول والافضل والاكبر هو العودة الى الشورى ، والشورى بالكليل .

« والاجتهاد » يأتى فى اللغة من الجهد والمشقة وبذلك اقصى الطاقة وهو — فى الاصطلاح — بذل الفعیه (الذى اجتمعت فيه (١) شروط الاجتهاد)

(١) منها علم المتكفى بالكتاب والسنة وعلومها ، وعلم المتبحر فى

غاية وسعته لاستنباط حكم شرعى من كتاب الله وسنة نبيه (انظر تاريخ
الشريعة الاسلامى لمحمد بك الخطيرى - طبعة ١٩٢٦، ص ٢٦٦) .

والمصدر الاول للشريعة الاسلامية هو كتاب الله . وفيه يقول تعالى :
« اما نحن نزلنا الذكر واتلوه لعلهم يفلحون » (١ - الحجر) . والمصدر الثانى
الشريعة هو سنة رسول الله الذى جاءت بها وتفصيلا لما أجمله القرآن .
ومى ذلك يقول تعالى : « وانزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »
(٢٤ - النحل) . وكان عليه الصلاة والسلام يجتهد (٢) ، وكان يأمر اصحابه
بالاجتهاد . ومن ذلك حديثه مع معاذ حين بعثه الى اليمن ، وقال له : « كيف
تصنع ان عرض لك قضاء لا الى آخر الحديث . وبوفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم انقطع الوحى فكان الصحابة يجتهدون . كان ابو بكر رضى الله
عنه اذا جهده الخصوم يقضى بها فى كتاب الله ، فان لم يجد عليه نصا قضى
بسنة رسول الله ، فان لم يجد سأل المسلمين ، مثل فقههم من يذكر عن الرسول
تقصاء فى ذلك ، فان اعياه هذا يجمع زعماء الناس وخطوهم واستشركهم
بوقضى فيما اجهوا عليه . (٣) » . ويذكر محمد بك الخطيرى فى كتابه تاريخ
الشريعة (٤) : « الاسلامى سنة ادوار لهذا الشريعة : ١ - الشريعة فى حياة
الرسول . ٢ - الشريعة فى عهد كبار الصحابة (وينتهى بانتهاء عهد الخلفاء
الراشدين) . ٣ - الشريعة فى عهد حضرة المتكاتبين من ساداتهم من التابعين ،
وينتهى هذا العهد بانتهاء القرن الاول من الهجرة او بعد ذلك بقليل .
٤ - الشريعة فى العهد الذى ظهر فيه كبار الفقهاء (وفتهم الفقهاء الاربعة

الابانة العربية وفنونها . ووجوهها ، ومنها ، بل وبنى مقدمتها ، وجوب انصاف
الجهد بالامانة والتقوى . ومن المحقق انه لا يمكن لباحث ان يضيف جهدا
فى « تخصصه الدقيق » الا اذا كان على علم واسع وعميق بهذا « التخصص
الدقيق » . وبالفهم الذى يقوم هذا . للتخصص الدقيق » منه نظام الفرع
من الاسلام .

(٢) انظر ما اشير اليه فى المحقق الثالث - ثالثا - فى موضوع النسخ
(٣) انظر للمؤلف : العمل القضائى فى القلقون المتارين - الطبعة
الاولى - ص ٧٧ وما بعدها .

(٤) طبعة ثانية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ . المقدمة وص ٢٣١ وما بعدها .
والمؤلف (١٨٧٢ - ١٩٢٧ م) هو المبروف الشيخ الخطيرى - تخرج يداه
بالعلوم ، شغل مناصب عديدة وله مؤلفات كثيرة (انظر الاعلام للزركلى) .

المعروفون وأصحابهم)« وينتهي هذا الدور ببلتقاء القرن الثالث الهجرى
 ٥ — دور البحث لتحقيق المسائل المتلقاة من الائمة الكبار ، وفي هذا الدور
 ظهرت المؤلفات الكبيرة والمسائل الكثيرة وينتهي هذا الدور ببلقاء الدولة
 العباسية من بغداد وغلبة الفتن على بلاد الاسلام — وبعد ذلك بتقليل في
 مصر . « ويسمى هذا الدور كذلك — بدور القيام على المذاهب وتأييدها »
 ٦ — عهد التقليد المحض ، (من سقوط بغداد على يد هولاكو الى الآن) .
 في هذا الدور تمكن روح التقليد المحض من نفوس العلماء ، فلم ير منهم من
 سمى نفسه الى رتبة الاجتهاد الا القليل ، وذلك في النصف الاول منه .
 وهو العهد الذي حلت فيه القاهرة محل بغداد ، في هذا العهد كان ينبغي من
 ان آخر من يصلون هذه الرتبة لكنهم مع ذلك واقفون عند الانتساب الى
 الائمة المعروفين . اما في النصف الثاني ، وهو من اوائل القرن العاشر
 (الهجرى) الى الآن ، فلن الحال قد بدلت ، وأعلن انه لا يجوز لفتيه ان
 يختل ولا ان يرجع ، وان زمن ذلك قد فات . في النصف الاول من هذا الدور
 (وفي مصر) قيل سقطت دولتها وانتقل الخلافة منها (نجد اسماء : المعز بن
 عبد السلام ، وابن الحلبي ، وابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، وابن نعيمية ،
 والسبكي وابنه ، وابن القيم ، والبلقيني ، والاسنوي ، والكمال بن الهمام ،
 وجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي وهم من توابغ المذاهب الاربعة .
 — اما بعد ذلك (أي في النصف الثاني من هذا الدور السادس) فكان السقوط
 السيلسي سقط بالعلم ، ولا سيما الديني منه ، الى هو بعيدة . خلال هذه
 القرون الاخيرة تملت موانع : منها : انقطاع الصلة بين علماء الامصار
 الاسلامية ، وانقطاع الصلة بين الناس وبين كتب الائمة ، ليحل محلها كتب
 الاختصار المجل . لقد تنافس المتنافسون في جمع الكثير من المسائل في
 القليل من الالفاظ ، وتحول الكلام منها الى ما يشبه الالغاز ، لذلك احتاجت
 الى الشرح ، واحتاج الشرح الى حاشية . . . وهذا يخلق باب حسن الفهم
 على طالب العلم .

أعود الى قول الشيخ الخضري رحمه الله : انه في النصف الثاني من
 عصر التقليد « أعلن انه لا يجوز لفتيه ان يختار . . . » — أعود اليه وأقول
 انه في عصور التدهور السياسي ، وما صاحب ذلك من تدهور « فكري »
 تعرض للافتاء ، بل وللقتضاء من ليس لهما بأهل ، فتعارضت الفتاوى وتناقضت
 الاحكام وساعد على هذه الفوضى ، وهيا لها عدم تجميع وتبويب احكام

الأحوال الشخصية ، وأحكام المعاملات (على اختلاف أنواعها) فى مجموعات كمجموعات القوانين القائمة الآن . وأول عمل « رسمى » فى هذا الشأن هو « مجلة الأحكام العدلية » (١٢٩٣ هـ — ١٨٧٦ م) ، التى قامت بأعدادها لجنة أمرت بتشكيلها الدولة العثمانية ، للعمل بأحكامها فى الولايات التابعة لها . وأضيف أمرين ، أولهما أن إعلان « سد باب الاجتهاد » لم يكن من كل الغشياء ، وأنه ليس من السهل تحديد الوقت ، أو الجهة التى أقلمت هذا « السد الوهمى » ، وثانيهما أن الاثنى الى الصواب هو القول بأن التدهور السياسى أدى الى « جمود فكرى غائب » ، وهذا لا يعنى أبدا أن الائمة قد عقم ، أو أن الازمئل قد خلت كلية من الرجال ، العلماء العباقرة الأبطال . ومن أقوال السيد جمال الدين الافغانى فى ذلك أن من كان عالما باللسان العربى ، وعقلا غير مجنون ، وعارفا بسيرة السلف ، « واجتهدت فيه شروط الاجتهاد » ، إجاز له النظر فى أحكام القرآن وتمتعها ، واستنباط الأحكام منها ومن الحديث الشريف . ويقول : انى لا أرتب فى أنه لو عاش الائمة العظام الى يومنا. لداموا مجتهدين مجتهدين ، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث .. الى آخره (٥) .

الملحق الخامس

لا اكراه فى الدين

٥٤ — يقول تعالى : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي . . . » (٢٥٦ البقرة) وفى القرطبى . أن العلماء قد اختلفوا فى معنى الآية على ستة أقوال ، اكتفى هنا بالقولين الاول والثالث منها . الاول : قيل : أنها منسوخة ، لأن النبى (ص) قد أكره العرب على دين الاسلام ، وقتلهم ، ولم يرض منهم الا بالاسلام . قاله : سليمان بن موسى . قال : فسختها الآية « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم . . » (٧٣ التوبة و ٩ التحريم) وروى هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين الى آخره . . ويقول

(٥) انظر : دراسات فى الاسلام — الاجتهاد فى الفقه الاسلامى — للدكتور محمد الدسوقي . المجلس الاعلى للشئون الاسلامية — العدد ١٤٧ ص ١٥٣ ، وجمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبو ريه ص ١٨٩ ط ١ — المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . وانظر كذلك فى « الاجتهاد » الدكتور عبد المتعمر النمر .

ابن حزم قى الحلبي (٧ ص ٣٤٦) : « قد صح أن النبي (ص) قد أكره
 مشركي العرب على الاسلام » أقول : وهذا الرأي هو الذي دافع عنه الدهلوي
 (انظر — سابقا — بند ٢٨) . الرأي الثالث : — وهو الذي رواه أبو داود
 عن ابن عباس قال : « نزلت هذه الآية في الانصار ، كانت المرأة تكون مقلتا
 (اي لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن تهوده ،
 فلما أجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع
 أبناءنا ، فأنزل الله : « لا اكراه في الدين . . » وفي رواية : انما فعلنا
 بما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما كنا نحن عليه . أما وقد جاءنا الله
 بالاسلام ، فكركهم عليه ، فنزلت « لا اكراه في الدين » من شاء التحق بهم
 ومن شاء دخل الاسلام ، وهو قول سعيد بن جبير والشعبي وسجاءد الا انه
 قال : كان سبب كونهم في بني النضير هو الا سترضاع . قال النحاس :
 قول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال لصحة استلذه ، وأن مثله لا يؤخذ
 بانراى . وقد جاء في تفسير ابن كثير لنفس الآية أقوال كثيرة كذلك المنقولة
 عن القرطبي . كما جاء فيه عن أسق قال : « كنت في دينهم مملوكا نصرانيا
 لعمر بن الخطاب ، فكان يعرض على الاسلام ، فأبى ، فيقول : لا اكراه في
 الدين ويقول : يا أسق : لو أسلمت لاستعقبك على بعض أهول المسلمين »
 ويقول ابن كثير في تفسير الآية : « لا تكرهوا أحدا على الدخول في الاسلام
 فانه بين . . ومن هداه الله وشرح صدره له دخل فيه على بينه ، ومن ختم
 على قلبه لا يفيد الدخول فيه مكرها مقسورا » . وفي معنى عدم الاكراه في
 الدين ما رواه الامام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حميد عن أنس : أن رسول الله
 (ص) قال لرجل : أسلم . قال : انى أجدينى كارهها . قال : وان كنت
 كارهها (١) . ويعقب ابن كثير على هذا الحديث بقوله : انه (ص) لم يكرهه
 على الاسلام ، بل دعاه اليه . . الى آخره . . . وفي ذات المعنى (عدم
 الاكراه في الدين) ما روى عن أبي هريرة بشأن أسر ثعلبة بن أنال واسلامه
 (انظر بند ٢٥) — والحديث متفق عليه . وفي صلح الحديبية داته :

(١) هذه مجرد دعوة ، فالإنسان — عادة — عدو لما يجهد . والانتقال
 من عقيدة مألوفة الى أخرى غير مألوفة ليس بالأمر السهل . انها دعوة الى
 أن « يعيش » مع الجديد زمنا ، ثم انه — بعد ذلك — بالخيار . . وفي معنى
 قريب من هذا يقول الشاعر :

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى اخا كرم الا بأن يتكرما

والمفوضات التي سبقتها ، والشروط التي تضمنتها ، من الملاينة من جانب
الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن تعنت الطرف الآخر ، ما اعتبره بعض
الصحابة (استسلاما) ، ولم يفتقد هؤلاء من الصحابة ، مما كلفوا فيه من
كرب إلا نزول سورة « الفتح » . وقد كان هذا الصلح فتحا حقا ، و « فتحا
مبيناً » كما جاء في الآية الأولى من السورة ومما جاء في نفس السورة :
« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » ، لتدخل المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلفين رعوكم ومقصرين لا تخلفون ، نعلم ما لهم تعلموا ، فجعل من
دون ذلك فتحا قريبا » (الآية ٢٧) وانظر للمؤلف : « غزوات الرسول وبنو اياه »
(مسلسل ٦٨) .

فهرس موضوعی

الافتتاح ، والاهداء ، والتقديم ٣ - ٥

صفحة	بند	الموضوع	الفصل والمبحث
		الجهاد	الفصل الأول
٨	١	التعريف	المبحث الأول :
٨	٢	الرباط	
١٢	٣ و ٤	للجهاد شعلة يجب أن تبق حية	المبحث الثاني :
١٧	٥ و ٦	لولا الجهاد لفسدت الأرض	المبحث الثالث :
١٧	٧	الجهاد - فرض عينى هو .. أم فرض كفاى ؟	المبحث الرابع :
٢١	٨ و ٩	الرسول القدوة ، والحل الاسلامى	المبحث الخامس :
٢٤	١٠ و ١١	حول مراحل القتال	المبحث السادس :
٢٩	١٢ و ١٣	المسجد الحرام والشهر الحرام	المبحث السابع :
٣٣	١٤ و ١٥	والبدء بالقتال	
٣٧	١٦ و ١٧	فى التحريض على القتال	المبحث الثامن :
٤٢	١٨	آيات فى القتال : آراء - عرض ورد	المبحث التاسع :
٤٥	١٩	الاخراج من الدين .. !	المبحث العاشر :
٤٩	٢٠	آيات اخرى فى القتال :	المبحث الحادى عشر :
٤٩	٢١ و ٢٢	الانعام .. الى آخره	المبحث الثانى عشر :
٤٩	٢٣ و ٢٤	براءة - محمد -	
٤٩	٢٥ و ٢٦	المتحكمة	
٤٩	٢٧ و ٢٨	الاستسقاء	المبحث الثالث عشر :
٤٩	٢٩ و ٣٠	توضيح للدلولى	المبحث الرابع عشر :
٤٩	٣١ و ٣٢	رد على الراى السائد فى	المبحث الخامس عشر :
٤٩	٣٣ و ٣٤	نقته الاوائل	
٤٩	٣٥ و ٣٦	رد على الراى السائد فى	المبحث السادس عشر :
٤٩	٣٧ و ٣٨	نقته الاوائل - امتداد ..	

الفصل والمبحث	الموضوع	بنود	صفحة
المبحث السابع عشر : فى تفسير المنار - والنساسة الشريعة للشايخ خلافت - عرض ونقد		٣١ و ٣٢	٧٥ - ٨٠
المبحث الثامن عشر : الجهاد عند المورودى وسيد قطب - عرض ومناقشة		٣٣ - ٣٦	٨٠ - ٩٢
المبحث التاسع عشر : الجهاد - والحاضر والمستقبل وخريطة الواقع		٣٧ -	٩٢ - ٩٩
الفصل الثانى : فى المهادنة والامن		٣٨ - ٤٠	١٠٠ - ١٠٣
الملاحق			
الملحق الاول : الاسلام وآداب الحرب		٤١	١٠٤ - ١٠٥
الملحق الثانى : الشرك - الكفر - الفلق		٤٢	١٠٦ - ١٠٨
الملحق الثالث : فى التسخير ..		٤٣	١٠٨ - ١١٢
الملحق الرابع : فى الاجتهاد ..		٤٤	١١٢ - ١١٦
الملحق الخامس : لا اكراه فى الدين		٤٥	١١٦ - ١١٨

رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٠١ / ١٩٨٩

يطلب الكتاب من

دار الفكر العربى ، النهضة المصرية ، الجليل العربى ، الضحوة ، وغيرها

الثلث : جنهان

Bibliotheca Alexandrina



0396369

الشمس · جنينها